تاريخ اللغة العربية

باعتبار انها كائنٌ حيٌّ نامٍ

خاضعٌ لناموس الارتقاء

وهو يتضمن بحثاً فلسفياً تاريخياً في ما طرأ على ألفاظ اللغة العربية وتراكيبها من الدثور او التجدد مع ايراد الامثلة مما دثر منها او تولد فيها او اقتبسته من سواها وبيان الاسباب التي دعت الى دثور القديم وتولد الجديد

تأليف

جرجي زيدان

منشىء الهلال

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٤

تاريخ اللغة العربية

باعتبار انها كائن حيّ نامٍ

خاضعٌ لناموس الارتقاء

وهو يتضمن بحثاً فلسفياً تاريخياً في ما طرأ على ألفـ
اللغة العربية وتراكيبها من الدثور او التجدد مع ايراد
الامثلة مما دثر منها او تولد فيها او اقتبسته من
سواها وبيان الاسباب التي دعت الى
دثور القديم وتولد الجديد

تأليف

جرجي زيدان

منشئ الهلال

مطبعة الهلال بالفجالة بمصر

سنة ١٩٠٤

المقـــدمة

هذا كتاب صغير في بحث جديد تنبهنا اليه ونحن ننشر الطبعة الثانية من كتابنا « الفلسفة اللغوية » لأن موضوعه تابع لموضوعها او هو خطوة ثانية في تاريخ اللغة باعتبار منشأها وتكونها ونموها. فالفلسفة اللغوية تبحث في كيف نطق الانسان الأول وكيف نشأت اللغة وتولدت الالفاظ من حكاية الأصوات الخارجية كقصف الرعد وهبوب الريح والقطع والكسر وحكاية القف" والنخ والصفير ونحوها ومن المقاطع الطبيعية التي ينطق بها الانسان غريزياً كالتأوّه والزفير . وكيف تنوعت تلك الاصوات لفظاً ومعنى بالنحت والابدال والقلب حتى صارت ألفاظاً مستقلة وتكونت الافعال والاسماء والحروف وصارت اللغة على نحو ما هي عليه

وأما تاريخ اللغة فيتناول النظر في ألفاظها وتراكيبها بعد تمام تكونها فيبحث في ماطرأ عليها من التغيير بالتجدد او الدثور فيبين الالفاظ والتراكيب التي دثرت من اللغة بالاستعمال وما قام مقامها من الالفاظ الجديدة والتراكيب الجديدة مما تولد فيها أو اقتبسته من سواها مع بيان الاحوال التي قضت بدثور القديم وتولد الجديد. وأمثلة مما دثر أو أُهمل او تولد او دخل. وهو بحث لغوي تاريخي فلسفي قسمنا الكلام فيه الى ثمانية فصول باعتبار الادوار التي مرت على اللغة وهي :

(١) العصر الجاهلي : ويتناول تاريخ اللغة من أقدم أزمانها الى ظهور الاسلام. أوردنا فيه أمثلة مما دخلها من الالفاظ الأعجمية من اللغات الحبشية والفارسية والسنسكريتية والهيروغليفية واليونانية وغيرها وأسندنا ذلك الى أسباب تاريخية . وذكرنا القاعدة في تعيين أصول تلك الالفاظ وأمثلة مما تولد في اللغة نفسها من الالفاظ الجديدة وأيدنا ذلك بمقابلة العربية بأخواتها أو بالنظر الى الفاظها بحد ذاتها

(٢) العصر الاسلامي : ونريد به ما حدث في اللغة بعد الاسلام من الالفاظ الاسلامية مما اقتضاه الشرع والفقه والعلوم اللغوية ونحوها .

(٣) الالفاظ الادارية في الدولة العربية : وتشمل ما دخل اللغة العربية

من الالفاظ الادارية التي اقتضاها التمدن الاسلامي عند انشاء دولة العرب وهي اما دخيلة او مولدة . ويتخلل ذلك بحث في كيفية انتقال اللفظ من معنى الى آخر

(٤) الالفاظ العلمية في الدولة العربية : ويدخل فيها الالفاظ والتراكيب التي اقتضاها نقل العلم والفلسفة من اليونانية وغيرها الى اللغة العربية في العصر العباسي

(٥) الالفاظ العامة في الدولة العربية : وهي الالفاظ التي تولدت في اللغة او دخلتها بغير طريق الشرع أو العلم كالالفاظ الاجتماعية ونحوها

(٦) الالفاظ النصرانية واليهودية : وهي ما دخل اللغة العربية من الالفاظ والتراكيب السريانية او العبرانية بنقل الكتب النصرانية الى العربية

(٧) الالفاظ الدخيلة في الدول الاعجمية : وتتناول ما اكتسبتهُ اللغة من الالفاظ الاعجمية بعد زوال الدول العربية وتولي الدول التركية والكردية وغيرها

(٨) النهضة الحديثة : وفيها ما اقتضاه التمدن الحديث من تولد الالفاظ الجديدة واقتباس الالفاظ الافرنجية للتعبير عما حدث من المعاني الجديدة في العلم والصناعة والتجارة والادارة وغيرها . وصدرنا الكتاب بتمهيد في نواميس الحياة وخضوع اللغة لها وختمناه بفصل في لغة الدواوين وخلاصة في مجمل ما تقدم

على اننا نعدُّ ما كتبناه في هذا الموضوع الجديد خواطر سانحة فتحنا بها باب البحث لأئمة الانشاء وعلماء اللغة . فنتقدم اليهم أن يوفوا الموضوع حقه أو يزيدونا منه لانه يحتاج الى بحث كثير ودرس طويل . وقد أصبحت اللغة بعد هذه النهضة في العلم والادب والشعر في غاية الافتقار اليه — ليعلم حملة الاقلام ان اللغة كائن حيٌّ نامٍ خاضعٌ لناموس الارتقاء تتجدد ألفاظها وتراكيبها على الدوام فلا يتهيبون من استخدام لفظ جديد لمعنى جديد لم يستخدمهُ العرب لهُ . وقد يكون تهيبهم مانعاً من استثمار قرائحهم وربما ترتب على اطلاق سراح أقلامهم فوائد عظمى تعود على آداب اللغة العربية بالخير الجزيل . ولا بدَّ من اعتبار القواعد العامة والروابط الاساسية مما أشرنا اليه في محلهِ . ناهيك بما ينجم عن معرفة اصل الكلمة وتاريخها من تفهم معناها الحقيقي . ونطلب اليه تعالى أن يلهمنا السداد بمنه وكرمه

تمهيد

(نواميس الحياة) من أهم نواميس الحياة النموّ او التجدُّد وهو عبارة عن دثور الانسجة وتولد ما يحلُّ محلها • ومعنى ذلك ان الجسم الحي مؤلف من خليات لكل منها حياة مستقلة اذا انقضت ماتت الخلية وانحلت اجزاؤها وانصرفت وتولد في مكانها خلية جديدة تتكون من العصارات الغذائية كالدم ونحوه • فالجسم الحيّ في انحلال وتولد دائمين حتى قالوا ان بدن الانسان يتجدد كله في بضع سنين أي لا يبقى فيه شيء من المواد التي كان يتألف منها قبلاً وبغير هذا التجدد لا يكون الجسم حياً • واذا حدث في جسم الحيوان ما يمنع تجدد الانسجة اسرع اليه الفناء — فالتجدد ضروريٌّ للحياة

وحياة الامة مثل حياة الفرد بل هي ظاهرة فيها اكثر من ظهورها فيه • لان الامة انما تحيا بدثور القديم وتولد الجديد فكأن افراد الامة خليات يتألف منها بدن تلك الامة وهو يتجدد في قرنٍ كما يتجدد بدن الانسان في عقد من عقود ذلك القرون

واذا تتبعنا نمو الامة بتوالي الاجيال رأيناها تتفرع وتتشعب فتصير الامة الواحدة أمماً يتفاوت البعد بينها بتفاوت الازمان والاحوال • وكل أمة من هذه تتشعب بتوالي الادهار الى أمم أخرى وهكذا الى غير حدٍّ وهو ما يعبرون عنه بناموس الارتقاء العام

(اللغة كائنٌ حيٌّ) ويتبع الاحياء في الخضوع لهذه النواميس ما هو من قبيل ظواهر الحياة او توابعها وخصوصاً ما يتعلق منها باعمال العقل في الانسان كاللغة والعادات والديانات والشرائع والعلوم والآداب ونحوها • فهذه تعدُّ من ظواهر حياة الامة وهي خاضعة لناموس النمو والتجدد ولناموس الارتقاء العام • ولكل من هذه الظواهر تاريخٌ فلسفي طويل نعبر عنهُ بتاريخ تمدن الامة أو تاريخ آدابها أو علومها

أو حكومتها او اديانها او نحو ذلك • وهي ابحاث لذيذة فيها فلسفة ونظر — ومن هذا القبيل تاريخ اللغة وادابها

والبحث في تاريخ اللغة على العموم يتناول أولاً النظر في نشأتها منذ تكونها مع ما مرّ عليها من الاحوال قبل زمن التاريخ كتكون الافعال والاسماء والحروف وتولد صيغ الاشتقاق وأساليب التعبير ونحو ذلك والبحث في هذا كله من شأن الفلسفة اللغوية وقد فصلناه في كتابنا « الفلسفة اللغوية » • ثانياً النظر في ما طرأ على اللغة من التأثيرات الخارجية بعد اختلاط أصحابها بالامم الاخرى فا كتسبت من لغاتهم الفاظاً وتعبيرات جديدة كما يقتبس أهلها من عادات تلك الامم وأخلاقهم وادابهم وما يرافق ذلك من تنوع معاني الالفاظ بتنوع الاحوال مع حدوث صيغ جديدة والفاظ جديدة • ثالثاً النظر في تاريخ ما حوته اللغة من العلوم والآداب باختلاف العصور وهو « تاريخ آداب اللغة » وهذا التقسم تقريبيٌّ اذ لا تجد حداً فاصلاً بين هذه الاقسام

واذا تدبرت تاريخ كل ظاهرة من ظواهر الامة كالآداب او اللغة أو الشرائع او غيرها باعتبار ما مرّ بها من الاحوال في اثناء نموها وارتقائها وتفرعها رأيتها تسير في نموها سيراً خفياً لا يشعر به الا بعد انقضاء الزمن الطويل • ويتخلل ذلك السير البطيء وثبات قوية تأتي دفعة واحدة فتتغير الشؤون تغيراً ظاهراً • وهو ما يعبرون عنه بالنهضة وسبب تلك النهضات على الغالب احتكاك الافكار بالاختلاط بين الامم على اثر مهاجرة اقتضتها الطبيعة من قحط او خوف • او يكون سبب الاختلاط ظهور نبي او متشرع او فيلسوف كبير او نبوغ قائد طماع يحمل الناس على الفتح والغزو أو امثال ذلك من أسباب الاختلاط • فتتحاك الافكار وتتمازج الطباع فتتنوع العادات والاخلاق والاديان والآداب — واللغة تابعة لكل ذلك بل هي الحافظة لآثار ذلك التغيير فتدخرها قروناً بعد زوال تلك العادات او الآداب او الشرائع واذا تبدّل شيءٌ منها حفظت آثار تبدله

وسنقتصر في هذه العجالة على تاريخ اللغة العربية في دورها الثاني وهو تاريخ الفاظها وتراكيبها بعد تكونها • واما الافاضة في ذلك فانها تستغرق مجلداً كبيراً والمراد الآن الالمام بالموضوع

ادوار تاريخ اللغة

باعتبار ما طرأ من التغيير على الفاظها وتراكيبها بعد تكونها وارتقائها

واذا تدبرنا ما مرَّ على اللغة العربية من المؤثرات الخارجية بعد تكوُّنها وارتقائها حتى اكتسبت ما اكتسبته من الالفاظ وضروب التعبير رأيناها قد مرَّت في ثمانية ادوار او أعصر وهي :

(١) العصر الجاهلي وفيه ما لحق اللغة من التنوع والتغير في الفاظها وتراكيبها قبل الاسلام

(٢) العصر الاسلامي اي ما أثره الاسلام في الفاظ اللغة وتراكيبها

(٣) الالفاظ الادارية في الدولة العربية

(٤) الالفاظ العلمية في الدولة العربية

(٥) الالفاظ الاجتماعية ونحوها

(٦) الالفاظ النصرانية

(٧) الالفاظ الاعجمية في دول الاعاجم

(٨) النهضة الحديثة

العصر الجاهلي

ويراد به الزمن الذي مرّ على اللغة العربية قبل الاسلام ولا يمكن تعيين أوله لضياع ذلك في ثنيات الدهور التي مرّت قبل زمن التاريخ • ولكننا نعتقد ان اللغة العربية نشأت ونمت اي تميزت فيها الاسماء والافعال والحروف وتكونت فيها معظم الاشتقاقات والمزيدات وهي لا تزال في حجر أمها أي قبل انفصالها عن اخواتها الكلدانية والعبرانية والفينيقية وغيرها من اللغات السامية • وبعبارة أخرى ان أم هذه اللغات ويسمونها اللغة السامية او الآرامية تمّ نموُّها فتكوّنت أفعالها وأسماؤها وحروفها واشتقاقاتها ومزيداتها قبل ان تشتت أهلها او نزحوا الى فينيقية وجزيرة العرب وما بين النهرين حيث اختلفت لغة كل قوم منهم بعد ذلك النزوح باختلاف أحوالهم فتولدت منها اللغات السامية المعروفة • فالساميون الذين نزلوا جزيرة العرب تنوعت لغتهم تنوعاً يناسب ما يحيط بهم من الاحوال او يجاورهم من الامم فتميزت عن اخواتها بأمور خاصة هي خصائص اللغة العربية • وتشعبت هذه اللغة في أثناء ذلك الى فروع يختلف بعضها عن بعض باختلاف الاصقاع وهي لغات الحجاز واليمن والحبشة • وتفرعت لغة كل من تلك البقاع الى فروع باعتبار القبائل والبطون مما لا يمكن حصره — كل ذلك حدث قبل زمن التاريخ

ويكفينا في هذا المقام البحث في لغة الحجاز وحدها وهي اللغة العربية التي وصلت الينا فقد كانت قبل تدوينها (اي قبل الاسلام) لغات عديدة تعرف بلغات القبائل وبينها اختلاف في اللفظ والتركيب كلغات تميم وربيعة ومضر وقيس وهذيل وقضاعة وغيرها كما هو مشهور — وأقرب هذه اللغات شبهاً باللغة السامية الاصلية ابعدها عن الاختلاط وبعكس ذلك القبائل التي كانت تختلط بالامم الاخرى كاهل الحجاز مما يلي الشام وخصوصاً اهل مكة وبالاخص قريش فقد كانوا اهل تجارة وسفر شمالاً الى الشام والعراق ومصر وجنوباً الى بلاد اليمن وشرقاً الى خليج فارس وما وراءه وغرباً الى بلاد الحبشة

فضلاً عما كان يجتمع حول الكعبة من الامم المختلفة وفيهم الهنود والفرس والانباط واليمنية والاحباش والمصريون غير الذين كانوا ينزحون اليها من جالية اليهود والنصارى فدعا ذلك كله الى ارتقاء اللغة بما تولد فيها او دخلها من الاشتقاقات والتراكيب مما لا مثيل له في اللغات الاخرى

وزاد ذلك الاقتباس خصوصاً بالنهضة التي حدثت في القرنين الاول والثاني قبل الاسلام بنزول الحبشة والفرس في اليمن والحجاز على أثر استبداد ذي نواس ملك اليمن — وكان يهودياً فاضطهد نصارى اليمن في القرن الخامس للميلاد وخصوصاً أهل نجران فطلب اليهم اعتناق اليهودية فلما أبوا قتلهم حرقاً وذبحاً فاستنجد بعضهم الحبشة فحمل الاحباش على اليمن وفتحوها واستعمروها حيناً واذلوا ملوكها أعواماً ثم انف احد ملوكها ذويزن فاستنجد الفرس على عهد كسرى انو شروان فانجده طمعاً بالفتح فاخرج الاحباش من اليمن بعد ان ملكوها ٧٢ سنة وكانوا في أثناء ذلك يترددون الى الحجاز وحاولوا فتحه في أواسط القرن السادس فجاؤا مكة بافيالهم ورجالهم ولم يفلحوا ٠ واهتم أهل الحجاز بقدوم الحبشة الى مكة حتى ارخوا منه وهو عام الفيل ٠ ولما فتح الفرس اليمن أقاموا فيها واختلطوا باهلها بالمبايعة والمزاوجة وتوطنوا وكانوا يقدمون الى الحجاز واهل الحجاز يترددون اليهم

ما دخل اللغة العربية من الالفاظ الاعجمية

في العصر الجاهلي

فكان لهذه النهضة تأثير كبير في اللغة العربية فتكاثرت الفاظها ومشتقاتها فلما جمعوا اللغة بلغت صيغ ابنية الاسماء فقط بضع مئات ثم صارت بعد ذلك ببضعة قرون الف ومائتين وعشرة أمثلة — ناهيك بما دخلها من الالفاظ الغريبة وما اقتبسته من التراكيب الاجنبية ولكن اكثره ضاع فيها وتنوع شكله ولم يعد يتميز أصله ٠ على اننا نستدل على تكاثر الالفاظ الدخيلة في اللغة العربية بخلو اخواتها من أمثال تلك الالفاظ ٠ فاذا رأينا لفظاً في العربية لم نر له شبيهاً في العبرانية او الكلدانية او الحبشية ترجح عندنا انه دخيل فيها ٠ وا كثر ما يكون ذلك في أسماء العقاقير أو الادوات او المصنوعات او المعادن او نحوها مما يحمل الى بلاد العرب من بلاد الفرس او الروم او الهند اوغيرها ولم يكن للعرب معرفة به من قبل ٠ أو في أسماء بعض الاصطلاحات الدينية أو الادبية وا كثر ذلك منقول عن العبرانية او الحبشية لان اليهود والاحباش من أهل الكتاب

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس اكثر مما اقتبسوا من سواها ولذلك رأينا ائمة اللغة اذا أشكل عليهم اصل بعض الالفاظ الاعجمية عدوها فارسية

ومن امثلة ما ذكره صاحب المزهر من الالفاظ الفارسية « الكوز الجرة الابريق الطشت الخوان الطبق القصعة السكرجة السمور السنجاب القاقم الفنك الدلق الخز الديباج التاختج السندس الياقوت الفيروزج البلور الكعك الدرمك الجردق السميد السكباج الزيرباج الاسفيذاج الطباهج الفالوذج اللوزينج الجوزينج البغرنج الجلاب السكنجبين الخلنجبين الدارصيني الفلفل الكرويا الزنجبيل الخولنجان القرفة النرجس البنفسج النسرين الخيري السوسن المزنجوش الياسمين الجلنار المسك العنبر الكافور الصندل القرنفل » اه وعندنا ان بعض هذه الالفاظ غير فارسي كما سترى

ومما اقتبسوه من اليونانية واللاتينية الفردوس والقسطاس والبطاقة والقرسطون والقبان والاصطرلاب والقسطل والقنطار والبطريق والترياق والقنطرة وغيرها كثير

وأما ما نقلوه عن الحبشية فاكثره لا يدل على أصله لتغير شكله ولان الحبشية والعربية أختان تتشابه الالفاظ فيهما • والمشهور عند علماء العربية من الالفاظ المقتبسة من الحبشية ثلاثة كفلين والمشكاة والهرج • لكننا لا نشك في انهم اقتبسوا كثيراً غيرها وخصوصاً ما يتعلق منها بالاصطلاحات الدينية

من ذلك قولهم « المنبر » وهو عند العرب « مكان مرتفع في الجامع او الكنيسة يقف فيه الخطيب او الواعظ » وقد شقه صاحب القاموس من « نبر » اي ارتفع وفي ذلك الاشتقاق تكلف • وعندنا انه معرب « ومبر » في الحبشية اي كرسي أو مجلس أو عرش

ومن هذا القبيل لفظ « النفاق » وهو عند العرب « ستر الكفر في القلب واظهار الإيمان » وقد شقوه من « نفق » راج او رغب فيه وليس بين المعنيين تناسب فاضطروا لتعليله الى استعارة خروج اليربوع من نافقائه فقالوا « ومنه اشتقاق المنافق في الدين » وهو تكلف نحن في غنى عنه اذا عرفنا ان « نفاق » في الحبشية معناها الهرتقة او البدعة او الضلال في الدين • وهي من التعبيرات النصرانية التي شاعت في الحبشية بدخول النصرانية فيها

وكذلك لفظ « الحواري » شقه صاحب القاموس من « حار » بمعنى البياض وقال في معنى الحواري انه سمي بذلك لخلوص نية الحواريين ونقاء سريرتهم او لانهم كانوا يلبسون الثياب البيض والاظهر ان هذه اللفظة معرب حواري في الحبشية ومعناها فيها « الرسول » وهو المعنى المراد بها في العربية تماماً

وكذلك « برهان » وقد شقها صاحب القاموس من « برهن » وشقها غيره من « بره » بمعنى القطع وان النون زائدة فيها وهي في الحبشية « برهان » اي النور أو الايضاح مشتقة من « بره » عندهم اي اتضح او انار

وقس على ذلك كثيراً من أمثاله كالمصحف فانه حبشي من « صحف » اي كتب والمصحف الكتاب • ناهيك بأسماء الحيوانات او النباتات او نحوها فان « عنبسة » من أسماء الاسد عند العرب وهي اسم الاسد بالحبشية

وقد أخذوا عن العبرانية كثيراً من الالفاظ الدينية كالحج والكاهن والعاشوراء وغيرها واكثرها نقل الى الصيغ العربية لتقارب اللفظ والمعنى في اللغتين لانهما شقيقتان ويضيق هذا المقام عن ايراد الامثلة

ولا ريب ان العرب اقتبسوا كثيراً من الالفاظ السنسكريتية ممن كان يخالطهم من الهنود في أثناء الاسفار للتجارة او الحج • لان جزيرة العرب كانت واسطة الاتصال بين الشرق والغرب • فكل تجارات الهند المحمولة الى مصر او الشام أو المغرب كانت تمر ببلاد العرب ويكون للعرب في حملها او ترويجها شأن — وقد عثرنا في السنسكريتية على الفاظ تشبه الفاظاً عربية تغلب ان تكون سنسكريتية الاصل لخلو اخوات العربية من أمثالها كقولهم « صبح » و « بهاء » فانهما في السنسكريتية بهذا اللفظ تماماً ويدلان على الاشراق او الاضاءة • ولا يعقل انهما مأخوذان عن العربية لان السنسكريتية دونت قبل العربية بزمان مديد • ونظن لفظ « سفينة » سنسكريتي الاصل أيضاً وكذلك « ضياء » ولعلنا بزيادة درسنا اللغة السنسكريتية ينكشف لنا كثير من أمثال ذلك

على اننا نرجح ان العرب أخذوا عن الهنود كثيراً من الاصطلاحات التجارية وأسماء السفن وادواتها واسماء الحجارة الكريمة والعقاقير والاطياب مما يحمل من بلاد الهند والعرب يعدونها عربية او يلحقونها بالالفاظ الفارسية تساهلاً • كالمسك مثلاً فقد رأيت صاحب المزهر يعده فارسياً وهكذا يقول صاحب القاموس • وهو بالحقيقة سنسكريتي ولفظه فيها « مشكا » وذكروا « الكافور » بين الالفاظ الفارسية وهو هنديٌّ على لغة أهل ملقا ولفظه عندهم « كابور » • وقد ذكروا أيضاً ان القرنفل فارسي والغالب عندنا انه سنسكريتي لان أصله من الهند وقس عليه

(القاعدة في تعيين أصول الالفاظ الأعجمية) وتعيين أصل اللفظ لالحاقه باللغة المأخوذ منها يحتاج الى نظر لا يكفي فيه المشابهة اللفظية اذ كثيراً ما تتفق كلمتان من لغتين في لفظ واحد ومعنى واحد ولا تكون بينهما علاقة وانما يقع ذلك على سبيل التوارد بالاتفاق — الا اذا دلت القرائن على انتقال احداها من لغة الى أخرى وساعد الاشتقاق على ذلك

فاذا اتفق لفظان متقاربان لفظاً ومعنى في لغتين وكان بين أهل تينك اللغتين علائق متبادلة من تجارة او صناعة او سياسة جاز لنا الظن ان احداهما اقتبست من الاخرى • فاذا كان ذلك اللفظ من أسماء المحصولات او المصنوعات او الادوات فيرجح الحاقه باللغة السابقة الى ذلك كلفظ « المسك » مثلاً فانه موجود في العربية وفي الفارسية وفي السنسكريتية وفروعها • فاذا عرفنا ان المسك يحمل

الى العالم من تونكين وتيبت ونيبال والصين وان الهنود القدماء كانوا يحملون الاطياب الى الامم القديمة ويمرون بسفنهم ببلاد العرب ترجح عندنا ان العرب اخذوا هذه اللفظة عن الهنود كما أخذها الفرس منهم او لعلها انتقلت الى الفارسية من العربية ٠ لان الفرس يعدونها عربية كما يعدها العرب فارسية ٠ او هي في الفارسية باعتبار انها فرع من السنسكريتية كما هي في الانكليزية بطريق التفرع وكما هي في اللاتينية لانها أخت السنسكريتية ومن اللاتينية انتقلت الى الفرنساوية لانها فرع من اللاتينية

ويقال نحو ذلك في « كافور » فان العرب يعدونها فارسية والفرس يقولون انها عربية وهي موجودة أيضاً في السنسكريتية واللاتينية وفروعهما ٠ فبايها نلحقها ؟ ففي مثل هذه الحال يجب البحث في مصدر الكافور فاذا علمنا انه يصدر من اليابان والصين ومن ملقا وان اسمه باللغة الملقية « كابور » ترجح عندنا انه ملقي الاصل

وكذلك «الزنجبيل» الجذور المعروفة فان العرب يقولون انها تعريب « شنكبيل» في الفارسية والفرس يقولون انها عربية ـــ ولم نجد شنكبيل في القاموس الفارسي ـــ واذا بحثنا عن اسم هذا العقار في اللغات الاخرى رأينا اسمه في اليونانية « زنجباريس» وفي اللاتينية « زنجبار » فأول ما يتبادر الى الذهن انه من « زنجبار » البلد المعروف وانه سمي بذلك لأنه كان يحمل منه او لسبب آخر ٠ فاذا رجعنا الى منبت هذا العقار رأيناه هندياً ورأينا اسمه في اللغة السنسكريتية « زرنجابيرا » مشتقة من « كرينجا » او « زرنجا » أي القرن لمشابهة جذوره به فيترجح عندنا انه سنسكريتي الاصل

ومن هذا القبيل « الفلفل » فان العرب يقولون انه فارسي والفرس يقولون انه عربي وهو موجود أيضاً بنحو هذا اللفظ في الانكليزية والالمانية واللاتينية ويوجد أيضاً في السنسكريتية ويلفظ فيها « پپالا » او « فيفالا » ولما كان الفلفل من محصولات الهند وأجوده يرد من مالابار ترجح ان هذه اللفظة سنسكريتية الاصل ٠ ومعنى « پپالا » عندهم أيضاً « التينة المقدسة »

ويقال عكس ذلك في الالفاظ الدالة على محصولات بلاد العرب او حيواناتها كالقهوة مثلاً فانها موجودة في الفارسية وفي كل لغات أوربا فالارجح انها عربية الاصل لان هذه اللفظة كانت عند العرب قبل اصطناع القهوة اسماً من أسماء الخمر فاطلقوها

على قهوة البن • ومثل ذلك اسماء الجمل والزرافة والغزال وغيرها من أسماء الحيوانات العربية وربما كان بعضها مأخوذاً في الاصل من لغة غير عربية

واذا كانت اللفظة المشتركة بين لغتين من قبيل المصنوعات فالحاقها باصحاب تلك الصناعة من الامتين أولى • فقد اختلط العرب بالفرس وخصوصاً بعد الاسلام وأخذوا منهم كثيراً من الالبسة والانسجة ولم ينقلوها الى لسانهم بل عربوها وابقوها على ما هي كالسراويل والقباء (ومنها الجبة) والتبان والجورب والديباج والارجوان والسرموج والقفطان والطربوش والبابوج — كما فعل أهل هذا العصر باسماء الالبسة الافرنجية التي اقتبسوها من الافرنج في تمدنهم الاخير كالبنطلون والجاكت والاستيك وغيرها

واقتبس العرب من الفرس كثيراً من الوان الاطعمة وانواع الاسلحة والفرش والادوات وأبقوها على لفظها الاعجمي وهي كثيرة يضيق هذا المقام عن ذكرها ومنها الجلاب والجلنار والبنفسج والخشاف والخوذة والدسكرة والدولاب والدهقان والسرجين والسرداب والطنبور والفرسخ وغيرها كثير • فالحاقها بلغاتها الاصلية يسوغه اولاً التاريخ لانه يدلنا على أن العرب اقتبسوا تلك المواد من الفرس فاذا تأيد ذلك بالاشتقاق اللغوي كان الدليل اثبت — مثل « جلاب » فانها مؤلفة في الاصل الفارسي من « كل آب » اي ماء الزهر • و « خشاف » من « خوش آب » و « سرداب » من « سرد آب » او « سردابه » بيت الثلج من « سرد » اي بارد و « آب » ماء والطربوش من « سربوش » اي غطا الرأس • والبابوج من « پاپوش » أي غطاء القدم

وكثيراً ما يكفي الاشتقاق اللغوي وحده في معرفة أصل اللفظة بشرط ملاحظة مقابلة اللغات • فاذا وجدنا لفظة في العربية ومثلها في الفارسية او اللاتينية او اليونانية مثلاً ولم يساعدنا التاريخ على معرفة حقيقة أصلها عمدنا الى اشتقاقها وصيغتها فاذا لم يكن لها مجانس في اخوات العربية وكان لها ذلك في اخوات الفارسية او اللاتينية او اليونانية ترجح انها من احدى هذه اللغات • مثل « البلاط » بمعنى « قصر الملك » فقد عدها العرب عربية وشقوها من البلاط المعروف لان القصور تفرش به • ولكن هذه اللفظة في اللاتينية Palatium ومعناها قصر الملك • فاذا أدعى مدع انها عربية الاصل وان الرومان اقتبسوها من العرب قلنا ان الرومان يرجعون باصلها الى تل كان في رومية بهذا الاسم نزل عليه اوغسطس قيصر واقام فيه فسمي قصره به • واذا أعجزنا

الدليل التاريخي عمدنا الى الاشتقاق فان Pala في السنسكريتية معنـاها الحامي او المدافع وكان الملوك القدماء انما يبنون القصور للتحصن بها

وقد لا يهدينا التاريخ مطلقاً كما في لفظ « جاموس » فان التاريخ لا يساعدنا على معرفة أصلها هل هي عربية او فارسية فاذا رجعنا الى الاشتقاق لم نر لها اشتقاقاً في العربية اما في الفارسية فانها مركبة من لفظين « كاو » ثور او بقرة و« ميش » كبش ولكن الجاموس هنديُّ الاصل ومعنى « جاوميشا » في السنسكريتية « البقرة الكاذبة »

عودٌة

وبالجملة فقد دخل العربية الفاظ كثيرة من معظم اللغات التي كانت شائعـة في التاريخ القديم ممن خالط العرب كالمصريين القـدماء والحثيين والفينيقيين والكلدان والهنود والفرس حتى الزنوج والنوبة وغيرهم مما لم يعد تمييز أصله ممكناً لتقادم عهده واختلاف شكله

ومن أمثلة ما أخذوه عن اللغة المصرية القديمة الهيروغليفية: لفظ « قبس » بمعنى الشعلة فهي في الهـيروغليف « خبس » ومعناها مصباح • وبعض تلك الاقتباسات أخذها العرب رأساً عن أصحابها والبعض الآخر حملت اليهم على يد الامم الاخرى كما نقل لهم اليهود لفظ « نبي » من اللغة المصرية القديمة (الهيروغليفيـــة) (وأصل معناه فيها « رئيس العائلة » او « رب المنزل » (راجع الفلسفة اللغوية الطبعة الثانية صفحة ٦٤)

وكما نقل لهم الفرس « الشطرنج » عن اللغة الهنـدية السنسكريتية فحسبها العرب فارسية وقالوا انها تعريب « شترنك » بالفارسية ومعناها ستة الوان — ولعلهم يريدون «ششرنك » — والصواب انها لعبة هندية قديمة كانت تسمى في اللغة السنسكريتية « شتورنكا » اي الاجزاء الاربعة التي يتألف منها الجند عندهم وهي الافراس والافيال والمركبات والمشاة • فاخذها الفرس عنهم نحو القرن السادس للميلاد ثم أخذها العرب عن الفرس فحسبوها فارسية وتكلفوا في تعليلها كما رأيت

ولم يقتصر العرب على اقتباس الالفاظ من اللغات الاخرى واستبقائها على حالها ولكنهم صرفوها وشقوا منها الافعال ونوعوا معناها على ما اقتضته احوالهم • فقد شقوا

من لفظ النبي « نبأ » و « تنبأ » و « نابأ » وشقوا من قبس أفعالاً وأسماءً عديدة ٠ ومن هذا القبيل « اللجام » وهو من « لكام » في الفارسية فشقوا منه أولاً « ألجم الدابة » البسها اللجام و «التجمت الدابة » مطاوع الجم ٠ وجمعوا لجام على لجم والجمة ثم استخدموه للمجاز فقالوا «لجمه الماء » أي بلغ فاه وقالوا «لفظ لجامه » أي انصرف من حاجته مجهوداً من الاعياء والعطش ٠ وقولهم « التقيُّ ملجمٌ » أرادوا به انه في مقيد اللسان والكف ٠ والمهر الخاتم في الفارسية استعارة العرب وبنوا منه فعلاً فقالوا مهر الكتاب اي ختمه بالمهر ٠ ومن ذلك ما شقوه من لفظ « ديوان » وهي العجمية فقالوا « دوّن » اي كتب اسمه في الجندية ٠ وقس على ذلك كثيراً من الالفاظ الدخيلة التي يعتقد العرب انها عربية وقد شقوا منها الافعال والاسماء مثل « سراب » وهي تعريب « سيرآب » في الفارسية اي مملوءة ماء ٠ والزمهرير من « زم اريز » بالفارسية اي ضباب بارد ٠ وجزاف من « كزاف » بالفارسية اي العبث من الكلام ٠ والضنك من « تنك » في الفارسية ضيق وقد شقوا منها أفعالاً وأسماءً ترجع الى هذا المعنى

ثم ان اكثر ما أدخله العرب الى لغتهم من الالفاظ الاجنبية لم يكن له ما يقوم مقامه في لسانهم ٠ على ان كثيراً منه كانت له عندهم اسماءٌ مشهورة — لا يبعد ان يكون بعضها دخيلاً ايضاً فغلب استعمال الدخيل الجديد واهمل القديم ٠ من ذلك ان العرب كانوا يسمون الابريق « تامورة » والطاجن « مقلى » والهاوون « منحاز » او «مهراس» والميزاب « مثقب » والسكرجة«الثقوة » والمسك « المشموم » والجاسوس « الناطس» والتوت « الفرصاد » والاترج « المتك » والكوسج «الاثط » والباذنجان « الانب » والرصاص « الصرفان » والخيار « القتد » ٠٠٠ فهذه الاسماء وامثالها اهملها العرب قبل الاسلام بعد ان استبدلوها باسماءٍ دخيلة — فعلوا ذلك عفواً بلا تواطوءٍ او قصد وانما هو ناموس النمو يقضي عليهم بذلك

ما لحق اللغة العربية من التغيير في الفاظها

في العصر الجاهلي

ذكرنا في ما تقدم امثلة مما دخل اللغة العربية من الالفاظ الاجنبية قبل زمن التاريخ في ما عبرنا عنه بالعصر الجاهلي . ونحن ذاكرون الآن ما لحق الفاظها الاصلية من التنوع والتفرع في ذلك العصر . والادلة على ذلك كثيرة نكتفي منها بالواضح الصريح فنذكر اولاً ما نستدل عليه من مقابلة العربية باخواتها العبرانية والسريانية ثم ما تشهد به حال اللغة العربية نفسها

(١) مقابلة العربية باخواتها

من الحقائق المقررة ان العربية والعبرانية والسريانية كانت في قديم الزمان لغة واحدة كما كانت لغات عرب الشام ومصر والعراق والحجاز في صدر الاسلام . فلما تفرق الشعب السامي اخذت لغة كل قبيلة تتنوع بالنمو والتجدد على مقتضيات احوالها فتولدت منها لغات عديدة اشهرها اليوم العربية والعبرانية والسريانية — كما تفرعت عربية قريش بعد الاسلام الى لغات الشام ومصر والعراق والحجاز وغيرها . ولكن الفرق بين فروع اللغة السامية ابعد مما بين فروع اللغة العربية لتقيد هذه بالقرآن وكتب اللغة . فاذا راجعت الالفاظ السامية المشتركة في العربية واخواتها رأيت مدلولاتها قد اختلفت في كل واحدة عما في الاخرى . والادلة على ذلك لا تحصى اذ لا تخلو المعجمات من شاهد اوغير شاهد في كل صفحة من صفحاتها فنكتفي بالاشارة الى بعضها على سبيل المثال

فلفظ « الشتاء » في العربية مثلاً هو اصل مادة « شتا » في القاموس وكل مشتقاتها ترجع في دلالتها الى معنى الشتاء (الفصل المعروف) فقالوا شتا في المكان اقام فيه شتاءً وشتّى فلانٌ دخل في الشتاء واشتى القوم اشتاءً اجدبوا في الشتاء ... الخ ولم يدلنا صاحب القاموس على اصل هذا المعنى في هذا اللفظ ولكنه اورد رأي المبرّد في ذلك فقال ان الشتاء « جمع شتوة » وان الشتوة « الغبراء التي تهبُّ فيها الرياح والارض يابسة فيهيج الغبار » وفي قوله تكلفٌ ، على اننا اذا راجعنا هذه المادة في اللغات الساميّة رأينا الاصل في دلالتها « الشرب » او « الري » او « الصب » فهي

كذلك في العبرانية والسريانية الى اليوم · وقد شقوا منها الافعال والاسماء لمعانٍ كثيرة ترجع الى الري ونحوه — الا فصل الشتاء فانهم شقوا له كلمة من اصل آخر يقرب منه لفظاً · ويؤخذ من مراجعات كثيرة ان المادة الاصلية (شتا) كانت تدل على الرطوبة او الري في اللغة السامية فلما تفرقت القبائل كما تقدم تولدت منها المشتقات وتنوعت معانيها على مقتضى الاحوال فتولد منها لفظ الشتاء للمعنى المعروف له في العربية واهمل معنى الشرب او الري منها · ومع ذلك فلو تدبرت مشتقات هذه اللفظة في اخوات العربية لرأيتها تختلف في الواحدة عما في الاخرى

واذا بحثنا عن لفظ « شهر » في العربية بالمقابلة مع اخواتها رأينا الاصل فيه الدلالة على الاستدارة ثم سموا القمر به لانه مستدير ثم اطلقه العرب على الشهر لانهم كانوا يوقتون بالقمر · على ان دلالته على القمر لا تزال باقية في العربية الى اليوم وكذلك في السريانية فان ܣܗܪܐ (سهرا) تدل عندهم على الشهر والقمر · واما العبرانية فان للقمر فيها لفظاً مشتقاً من مادة اخرى هي ירח (يرح) والاصل في معناها « الدوران » فاشتقوا منها « يارح » للدلالة على القمر وعلى الشهر · ومن هذه المادة في العربية « رواح » اي العشي · فكانوا يقولون « راح فلان » اي جاء او ذهب في العشي — اي ان اصل المعنى راجع الى « العشي » بغير تقييد بالذهاب او المجيء مثل قولهم اصبح وامسى · ثم غلبت فيها الدلالة على الذهاب في العشي · ثم صارت للدلالة على مطلق الذهاب — حدث كل ذلك التنوع بلا قصد ولا تواطوء

ومن بقايا « يرح » في العربية مادة اشكل على أئمة اللغة معرفة اصلها فعدها بعضهم فارسية وعدها آخرون يونانية واكتفى غيرهم بانها غير عربية · وهي بالحقيقة سامية الاصل نعني بها لفظ « ارخ » او « ورخ » او « أرّخ » بمعنى وقّت والاظهر عندنا انها من بقايا اسم الشهر عندهم (يرح) — والابدال بين الخاء والحاء هين — ومنه « التاريخ » تعريف الوقت ثم تنوع معنى هذه اللفظة فصاروا يدلون بها على علم التاريخ اي ذكر الوقائع والحوادث

ومن هذا القبيل « كتب » فان الاصل في دلالتها « حفر في الحجر او الخشب » فالظاهر انهم استعملوها في اول عهدهم بالكتابة وكانوا يكتبون على الحجارة او الخشب حفراً او نحتاً شأن الكتابة عند الامم القديمة · فلما صاروا يكتبون بالمداد على الرقوق او الاقمشة تحول معناها الى الكتابة المعروفة ولم يبق لدلالتها على الحفر اثر في العربية

وان كنَّا نرى اثر ذلك في « قطب » ونحوها من تفرعات « قطَّ » حكاية صوت القطع . فيلوح لنا ان الاصل في دلالة كتب (او قطب) على الحفر انهم كانوا يقولون مثلاً « قط بالخشب » اي قطع في الخشب او حفر الخشب ثم الصقوا الباء بالفعل فصار « كتب » او « قطب » كما الصق عامتنا الباء المذكورة بفعل المجيء فبدلاً من ان يقولوا « جاء به » قالوا « جابهُ » وصرفوه فقالوا « يجيبه وجابوه ويجيبوه » بدلاً من « يجيء به وجاؤُا به ويجيئون به »

ومثل « كتب » ايضاً « سطر » فانها كانت تدل في الاصل على الحفر ثم تحوّل معناها للدلالة على الكتابة للسبب عينه . ولا تزال « سطر » تدل على الحفر ايضاً في العبرانية واما في العربية فقد بقيت الدلالة على ذلك في لفظ تجانس لها هو « شطر » او نحوها

وكثيرًا ما تحوّل المعنى في بعض الالفاظ بانتقاله من الكل الى الجزء او من الصفة الى الموصوف مثل « اللحم » في العربية فان معناها في اللغات السامية « الطعام » على اجماله ثم خصصه العرب بالدلالة على اهمّ الاطعمة عندهم وهو اللحم وصار في السريانية يدل على الخبز

والاصل في « طبخ » الدلالة على « الذبح » واللفظان متشابهان فتحوّل معناها في العربية الى معالجة اللحم للطعام واستعملوا للذبح كلمة تقرب منها لفظاً

و « الملح » اصل دلالته في اللغات السامية كلها من « ملح او ملأ » اي نبع الماء . ثم تحوّل معناها الى اكبر مستودعات الماء وهو « البحر » ونظرًا لظهور الملوحة في مياه البحار اكثر من سائر صفاتها ولان الملح يستخرج منها سمّوا الملح بها . والظاهر ان هذه اللفظة كانت في امهات اللغات السامية والارية قبل تفرقها . فان اسم البحر في اليونانية يشبه ان يكون مبدلاً من « ملح » او ان تكون ملح مبدلة منه وكذلك في اللغة السنسكريتية فان الاحرف الاصلية في اسم البحر في اليونانية ἅλς ونحوها في السنسكريتية

و « انبو » كانت تدل في اللغة السامية الاصلية على « الثمر » عموماً وما زالت تدل على ذلك في اللغة الاشورية والارامية . اما في العبرانية فقد ادغمت النون بالباء وعوض عنها بالتشديد فصارت אבה (ابّه) بتشديد الباء عملاً بقاعدة جارية في نحو ذلك باللغة العبرانية . ثم شقوا من هذه اللفظة فعلاً فقال אבב (ابب) بمعنى اثمر

واما في السريانية فقد اصاب هذه اللفظة نفس ما اصابها في العبرانية وصارت ܐܒܐ (ابّا) وهي تدل عندهم على الفاكهة كالتين والبطيخ والزبيب واللوز والرمان . واما في العربية فقد حدث نحو ذلك ولكن « الأَبُّ » صار عندهم للدلالة على الكلأ والمرعى او ما انبتت الارض وقالوا « الأَبُّ للبهائم كالفاكهة للناس »

وتحولت « انبو » ايضاً بالابدال الى « عنبو » ومنها « عنب » للدلالة على نوع واحد من الاثمار هو ثمر الكرم وهذه دلالتها الآن في اللغات العربية والعبرانية والسريانية بعد ان كانت تدلُّ في اقدم ازمانها على الثمر عموماً

ويقال نحو ذلك في « عَبَد » فانها في اللغات الساميَّة تدلُّ على العمل وخصوصاً الحرث في الحقل ولم يبق من مشتقات « عَبَدَ » في العربية ما يدل على معناها الاصلي الاَّ « المعبدة » اي « المجرفة » او « المحراث » . وفي ما خلا ذلك فان عبد ومشتقاتها انما تدلُّ على العبادة ومنها « العبد » اي الرق و « التعبُّد » لان خدمة الحقول كان اكثرهم من الارقاء . ولما كان اكثر الارقاء من الزنوج دلَّ المولَّدون بلفظ العبد على الزنوج السود خاصة

ومن هذا القبيل « الثلج » والاصل فيه الدلالة على البياض ثم اطلق على اشهر المواد البيضاء

وكذلك « مرء » فان اصل دلالتها في اللغات السامية على القوة ومنها الى الرئاسة ومنها الى اقوى الكائنات وهو الانسان . ولا تزال في السريانية تدل على الرب فقط وهي عندهم ܡܪܐ (مرا) او « مريا » اما في العربية فغلبت فيها الدلالة على الرجل . واما العبرانية والسريانية فالدلالة على الرجل فيهما الفاظ اخرى ترجع في اصل معناها الى القوة . وكأن هذا اللفظ قديم مشترك في امهات اللغات فانه في اللاتينية Vir ونحوه في الهندية

ولهذا السبب استعمل العرب « بعل » للزوج وهو يدل في الاصل على السيد او الرب . ومنه البعل اسم اكبر آلهة الشعوب السامية ومنها « هبل » كبير اصنام الكعبة (راجع الهلال الثالث من السنة الخامسة) ويظهر من مراجعة امهات اللغات الآرية ان هذا اللفظ انتقل منها الى اللغات السامية قبل تفرق شعوبها لانه في السنسكريتية « بالا » القوة وفي اللاتينية Val-ere قوي . او لعل الآريين نقلوه عن الساميين او كان في اللغة الاصلية قبل افتراق الآريين عن الساميين

ومن أمثلة ما فقد أصله من الالفاظ السامية في اللغة العربية وبقي فرعه لفظ « الشعر » بمعنى المنظوم • فقد شقه صاحب القاموس من « شعر الرجل » بمعنى فطن وأحسّ فقال « وسمي الشاعر شاعراً لفطنته وشعوره » ويلوح لنا من خلال هذا التعليل تسامح لا يرتاح العقل اليه • والاظهر عندنا ان « الشعر » مشتق من أصل آخر فيه معنى الغناء او الانشاد او الترتيل فقدَ من العربيـة وبقي في بعض اخواتها — ففي العبرانية اصلٌ فعليٌّ لفظه שור (شور) ومعناه صات او غنى اورتل ومن مشتقاته שיר (شير) قصيدة او انشودة وبها سمي نشيد الاناشيد في التوراة وأمثاله من القصائد او الاناشيد التي رتلها اليهود في أسفارهم او حروبهم • واليهود أقدم اشتغالاً بالنظم من العرب • فالظاهر ان العرب اخذوا عنهم كلمة « شـير » للقصيدة او الانشودة كما أخذوا غيرها من اسماء الآداب الدينية والاخلاقية وابدلوا ياءها عيناً على عادتهم في كثير من امثال هذا الابدال • فصارت « شِعر » اطلقوها على الشعر باجماله • فلما جمعت اللغة عدُّوا هذا اللفظ من مشتقات « شَعر » • واما أصل مادة « شور » فقد ذهب من العربية والقياس في مقابلة الالفاظ بين العربية والعبرانية يقضي ان تلفظ هذه الكلمة في العربية « سور » بالسين ولا نجد في هذه المادة عندنا ما يماثل هذا المعنى الا اذا اعتبرنا تسمية فصول القرآن سوراً واحدتها « سورة » فيكون المراد بها الانشودة او الترتيلة من قبيل التجويد

ومن أمثلة تنوع المعاني ان لفظ « الورق » في العربية اصـله من « يرقَ » اخضرّ ومنه ورق الشجر لاخضراره ولا يزال من هذه المادة في العربية « اليرقان» للمرض المعروف وهو اخضرار الجلد او اصفراره • وقد شقه صاحب القاموس من « أرق »

وقس على ذلك مئات من الامثلة تشهد على ما لحق الفاظ اللغة العربية من تنوع معانيها ومدلولاتها قبل زمن التاريخ باعتبار مقابلتها بالفاظ اخواتها السامية

(٢) النظر في اللغة العربية وحدها

على انّا لو اقتصرنا على مراجعة المعجمات العربية وحدها لا تضح لنا هذا الناموس باجلى بيان اذ نرى للمادة الواحدة او اللفظ الواحد عدة معان متفرعة من معنى واحد ثم يتنوع المعنى على مقتضيات الاحوال • ولا نحتاج في اثبات ذلك الى ايراد الشواهد لانه بديهيٌّ وانما يحسن بنا ان نشير الى أسباب ذلك التنوع وهي كثيرة وقد ذكرنا بعضها في ما تقدم من الكلام في مقابلة الالفاظ العربية بالفاظ اخواتها كاشتقاق معنى الملح من البحر ومعنى الثلج من البياض وغير ذلك مما بينه تناسب في المعنى • وقد تكتسب الكلمة معنى جديداً من عادة او عقيدة مثل قولهم « بنى على أهله او باهله » بمعنى تزوّج وليس في أصل فعل البناء هذا المعنى وانما اكتسبه من عادة كانت جارية عند العرب وهي ان الداخل باهله كان يضرب عليها قبة ليلة الزفاف • ومن هذا القبيل تحول معنى القمر الى الشهر لانهم كانوا يوقتون بالقمر

ومن أسباب زيادة النمو في اللغة العربية غير النحت والابدال والقلب التصحيف وهو التبادل بين الاحرف المتشابهة شكلاً كالباء والتاء والثاء والنون والياء او الجيم والحاء والخاء او الدال والذال أو الراء والزاي او السين والشين وقس عليه • فمن أمثلة ما ورد بمعنى واحد وسببه التصحيف قولهم رجل صلب وصلت والدبر والدثر والكرت والكرب ورغات ورغاب والجلجلة والحلحلة وجاض وحاص والنافجة والنافخة وهو كثير • وقد ذكر منه علماء اللغة مئات • والغالب ان ذلك التصحيف لم يحدث الا بعد تدوين اللغة لانه خطأ بقراءة الخطوط

ومما اختصت به لغة العرب من نتائج هذا النمو ورود الالفاظ الكثيرة للمعنى الواحد فعندهم للسنة ٢٤ اسماً وللنور ٢١ اسماً وللظلام ٥٢ اسماً وللشمس ٢٩ وللسحاب ٥٠ اسماً وللمطر ٦٤ وللبئر ٨٨ اسماً وللماء ١٧٠ اسماً وللبن ١٢ اسماً وللعسل نحو ذلك وللخمر مئة اسم وللاسد ٣٥٠ اسماً وللحية مئة اسم ومثل ذلك للجمل • اما الناقة فاسماؤها ٢٥٥ اسماً وقس على ذلك اسماء الثور والفرس والحمار وغيرها من الحيوانات التي كانت مألوفة عند العرب واسماء الاسلحة كالسيف والرمح وغيرها • ناهيك بترادف الصفات فعندهم للطويل ٩١ لفظاً وللقصير ١٦٠ لفظاً ونحو ذلك

للشجاع والكريم والبخيل مما يضيق المقام عن استيفائه

ومن خصائص اللغة العربية اسماء الاضداد فان فيها مئات من الالفاظ يدلُّ كل منهما على معنيين متضادين مثل قولهم « قعد » للقيام والجلوس و« نضح » للعطش والري و « ذاب » للسيولة والجمود و « أفسد » للاسراع والابطاء و « أقوى » للافتقار او الاستغناء

ومن خصائصها أيضاً دلالة اللفظ الواحد على معان كثيرة فمن الفاظها نيف ومئتا لفظ يدلُّ كل منها على ثلاثة معان • ونيف ومئة لفظ يدلُّ الواحد منها على اربعة وكذلك التي تدلُّ على خمسة معانٍ • وقس على ذلك ما يدلُّ على ستة معان فسبعة فثمانية فتسعة الى خمسة وعشرين معنى كالحميم والفن والطيس • ومما تزيد مدلولاته على ذلك « الخال » فانها تدلُّ على ٢٧ معنى وللفظ « العين » ٣٥ معنىً وللفظ « العجوز » ٦٠ معنى

فتكاثر المترادفات والاضداد ودلالة اللفظ الواحد على معانٍ كثيرة لا يحدث الا من تفرع الفاظ اللغة ومعانيها بالنمو والتجدد وكثر الدخيل • وبالطبع لم يتكون للشيء الواحد مئة اسم او مئتان الا بتوالي الاجيال • واحدث تلك الالفاظ اكثرها استعمالاً واقدمها اقربها الى الاهمال

الالفاظ الاسلامية

العصر الاسلامي : نريد بالعصر الاسلامي في صدد اللغة العربية الزمن الذي مرّ باللغة بعد ظهور الاسلام حتى كتبت العلوم الاسلامية كالتفسير والحديث وسائر العلوم الشرعية واللغوية ونحوها الى عصر النهضة العباسية • ولا مشاحة في ان الاسلام أثر في اللغة تأثيراً كبيراً هو تابع لتأثيره في العادات والآداب والاعتقادات • ويدخل في ذلك ما طرأ على اللغة من الاصطلاحات الدينية والفقهية واللغوية والادبية • ومادخلها من الالفاظ الادارية على أثر انشاء الحكومة ودوائرها وفروعها ثم الالفاظ العلمية والفلسفية بترجمة كتب اليونان والفرس والهنود الى العربية • ولذلك قسمنا الكلام في العصر الاسلامي الى ثلاثة فصول نقتصر في هذا الفصل على ما دخل اللغة العربية من التغيير بسبب العلوم الاسلامية وهو ما عبرنا عنه بالالفاظ الاسلامية ونفرد لكل من التغييرات الادارية والاجنبية فصلاً خصوصياً في ما يلي

فتأثير العلوم الاسلامية على اللغة يكاد يكون محصوراً في تنويع الالفاظ العربية وتغيير معانيها للتعبير عما احدثه الاسلام من المعاني الجديدة بلا ادخال الفاظ اعجمية الاَّ نادراً :

(١) الاصطلاحات الشرعية والفقهية

واشهر ما حدث من التنوعات في الالفاظ العربيــة في العصر الاسلامي الاصطلاحات الدينية والشرعية والفقهية واللغوية وكانت الفاظها موجودة قبل الاسلام ولكنها كانت تدلّ على معان أُخرى فتحولت للدلالة على ما يقاربها من المعاني الجديدة • فلفظ « المؤمن » مثلاً كان معروفاً في الجاهلية ولكنه كان يدل عندهم على الامان او الايمان وهو التصديق فاصبح بعد الاسلام يدل على المؤمن وهو غير الكافر وله في الشريعة شروط معينة لم تكن من قبل • وكذلك المسلم والكافر والفاسق ونحوها • ومما حدث من الاصطلاحات الشرعية الصلاة واصلها في العربية الدعاء وكذلك الركوع والسجود والحج والزكاة والنكاح فقد كان لهذه الالفاظ واشباهها معانٍ تبدلت بالاسلام وتنوعت

وقس على ذلك الاصطلاحات الفقهية كالايلاء والظهار والعدة والحضانة والنفقة والاعتاق والاستيلاء والتعزير واللقيط والآبق والوديعة والعارية والشفعة والمناسخة والفرائض والقسامة وغيرها

(٢) الاصطلاحات اللغوية

ويقال نحو ذلك في الاصطلاحات اللغوية التي اقتضتها العلوم اللغوية كالنحو والعروض والشعر والاعراب والادغام والاعلال والحقيقة والمجاز والنقض والمنع والقلب والرفع والنصب والخفض والمديد والطويل وغيرها من اسماء البحور وضروب الاعراب والتصريف وهي كثيرة جدًّا ولها فروع واشتقاقات — حتى لقد اصبح للفظ الواحد معنى فقهيٌّ وآخر لغويٌّ وآخر عروضي وآخر ديني مما لا يمكن حصره ُ وسنذكر امثلة اخرى عند الكلام على اصطلاحات المنطق وعلم الكلام

واحدث الاسلام تغييرًا كبيرًا في اساليب التعبير كقولهم «اطال الله بقاءك» فان اول من قالها عمر و بن الخطاب لعلي بن ابي طالب

(٣) الالفاظ المهملة

وكما احدث الاسلام الفاظًا جديدة للتعبير عن معانٍ جديدة اقتضاها الشرع الجديد والعلم الجديد فقد محا من اللغة الفاظًا قديمة ذهبت بذهاب بعض اعتقادات الجاهلية وعاداتهم . منها قولهم «المرباع» وهو ربع الغنيمة الذي كان يأخذه الرئيس في الجاهلية . و «النشيطة» وهي ما اصاب الرئيس قبل ان يصير الى بيضة القوم او ما يغنمه الغزاة في الطريق قبل الوصول الى الموضع الذي قصدوه . و «المكس» وهو دراهم كانت تؤخذ من بائعي السلع في الاسواق في الجاهلية . وكذلك الاتاوة والحلوان . ومما ابطل قولهم «انعم صباحاً وانعم ظلاماً» وقولهم للملك «ابيت اللعن» وقول المملوك لمالكه «ربّي» . وتسمية من لم يحج «صرورة» وغير ذلك . وقد نرى بعض هذه الالفاظ مستعملاً في اللغة الآن فهو اما مستعمل بغير معناه الاصلي واما قد أرجع اليه بعد اهماله

على اننا لا نشك في اهمال كثير من الالفاظ العربية في القرنين الاولين للهجرة ولا سبب لذلك غير ما يقتضيه النمو من التجدد والدثور — يكفي لتحقيق ذلك مراجعة المعجمات وتدبر الفاظها فانك ترى فيها مئات والوفًا من الالفاظ التي بطل استعمالها ولا نظنهم جمعوها

في صدر الاسلام الاَّ لانها كانت شائعة على السنة العرب

وقد يعترض على ذلك ان تلك الالفاظ انما أُهملت في العصور الاخيرة . فلا ننكر اهمال بعضها في هذه العصور ولكن جانباً كبيراً منها أُهمل في الاعصر الاولى فضلاً عما قلَّ استعماله قبل الاسلام حتى لقد كان احدهم يسمع اعرابياً يتكلم فاذا ذكر الفاظاً مهملة أُغلق على السامع فهمها ولو كان لغوياً :

يروى عن ابي زيد الانصاري انه قال « بينا انا في المسجد الحرام اذ وقف علينا اعرابي فقال يا مسلمون بعد الحمد لله والصلاة على نبيه اني امرؤ من هذا الملطاط الشرقي المواصي اسياف تهامة عكفت علينا سنون محش فاجتبت الذرى وهشمت العرى وجمشت النجم واعجبت البهم وهمت الشحم والتحبت اللحم واحجنت العظم وغادرت التراب مورا والماء غوراً والناس اوزاعاً والنبط قعاعاً والضهيل جراعاً والمقام جعجاعاً يصبحنا الهاوي ويطرقنا العاوي فخرجت لا اتلفع بوصيده ولا اتقوت بهبيده فالبخصات وقعه والركبات زلعه والاطراف فقعه والجسم مسلهم والنظر مدرهم اعشوا فاغطش واضحى فاخفش اسهل ظالعاً واحزن راكعاً فهل من آمر بمير او داع بخير وقاكم الله سطوة القادر وملكة الكاهر وسوء الموارد وفضوح المصادر — قال ابو زيد فاعطيته ديناراً وكتبت كلامه واستفسرت منه ما لم اعرفه » وابو زيد الانصاري من فطاحل ائمة اللغة . وامثال هذه كثيرة في اخبار العرب

الالفاظ الادارية

في الدولة العربية

(مصالح الدولة) كانت مصالح الدولة قبل الاسلام عبارة عن مناصب كبار الامراء من قريش في الكعبة كالسدانة والسقاية والرفادة والقيادة والمشورة والاعنة والسفارة والحكومة والعمارة وغيرها وكلها عربية يدل لفظها على معناها . فلما ظهر الاسلام وفتح المسلمون الشام والعراق ومصر وفارس أنشأوا على انقاض دولتي الروم والفرس دولة دوّنوا فيها الدواوين ونظموا الجند وسنوا القوانين على ما اقتضاه تمدنهم مما لم يكن له مثيل في جاهليتهم فاضطروا للتعبير عن ذلك الى الفاظ جديدة فاستعاروا بعضها من لغات القوم الذين اقاموا بينهم وخصوصاً الفرس واليونان والرومان واستعملوا لما بقي الفاظاً عربية حوّلوا معانيها حتى تؤدي معاني تلك الموضوعات كما فعلوا في الاصطلاحات الشرعية واللغوية . ولو شئنا الاتيان على كل ما حدث من تلك الالفاظ لما وسعه غير المجلدات فنكتفي بالامثلة

(١) الالفاظ الادارية العربية

اول الالفاظ الادارية التي حدثت في الدولة العربية « الخليفة » فانها كانت تدل في الاصل على من يخلف غيره ويقوم مقامه بدون تخصيص ثم انحصر معناها في من يخلف النبي واول الخلفاء أبو بكر . ومنها صارت تؤدي معنى « السلطان يحكم بين الخصوم والسلطان الاعظم والحكم الذي يستخلف عن قبلهُ » ويقال نحو ذلك في سائر مناصب الدولة كالوزارة والامارة والنقابة والكتابة والحجابة والشرطة ونحوها

فان الوزارة كانت تدل على المعاونة ثم تغير معناها باختلاف الدول واختلاف حال الوزراء فيها — ويشتق دارمستتر لفظ الوزير من أصل فارسي قديم (بهلوي) هذا نطقه « ويچيرا » ومعناه حكم او أقرّ

ومثل ذلك « الكاتب » فقد رأيت في ما تقدم ان الاصل في دلالة « كتبَ » الحفر على الخشب او الحجر لانهم كانوا يكتبون بالحفر فلما كتبوا بالمداد صار معناها الكتابة المعروفة ولما ظهر الاسلام احتاجوا الى من يكتب السور فكان الذين

يكتبونها يسمون كتبة الوحي • وكان بعضهم يكتبون بين الناس في المدينة فلما تولى ابو بكر استخدم كاتباً يكتب له الكتب الى العمال والقواد ولما تولى عمر ودوّن الدواوين استخدم الكتبة لضبط اسماء الجند واعطياتهم فصار الكاتب يدل على الكتابة والحساب • ولما استبد الكتاب في الدولة المصرية وغيرها صار الكاتب بمعنى الوزير • ويراد بالكاتب الآن العالم المنشىء

ومن ذلك لفظ « الدولة » فقد كانوا يريدون به « انقلاب الزمان والعقبة في المال والفتح في الحرب » ثم دلوا به على الملك ووزرائه ورجال حكومته ولم يكن لها هذه الدلالة قبلاً

و « الحجابة » تدل في الاصل على الستر والمنع فالحاجب الساتر او المانع فكان حاجب الخليفة من اصغر رجال الدولة • فلما ضعف الخلفاء واستبد الحجاب صار معنى الحاجب عندهم مثل معنى الوزير

وقس على ذلك سائر مناصب الدولة كالامارة والشرطة والقضاء والحسبة والنقابة والامامة وغيرها من اصطلاحات الجند كالمسترزقة والمتطوعة والعلوفة والعسكر • وضروب الحرب وابواب الهجوم كالزحف والكر والفر والبيات والكفاح والغرة • وصنوف الاسلحة كالدبابة والكبش والعرادة وغيرها • ناهيك باصطلاحات الدواوين على اجمالها كقولهم الثغور والعواصم والاقليم والقصبة والعمل والولاية والضياع والحكومة والسكة والتوقيع والوظيفة والخراج والجزية والعشور والمرافق والصوافي والجوالي والجباية والوقف والمصادرة والمستغلات والصدقة والمكوس والمراصد ودار الضرب والضمان والدفاتر والجرائد والخرائط والايغار والراتب والجاري والعطاء والبيعة والدعوة والختم والخطط والمطالعة والمؤامرة وغير ذلك كثير جداً

فالالفاظ المذكورة عربية الاصل واكثرها كان معروفاً قبل الاسلام ولكن مدلولاتها تغيرت بتغير احوال المسلمين بعد انشاء دولتهم اذ حدث بانشائها معان جديدة اضطروا في التعبير عنها الى الفاظ جديدة فنوعوا اما عندهم اما عمداً او عفواً فصارت الى ما هي عليه

« فالخراج » مثلاً كان معناها في الجاهلية الكراء والغلة ويدل ذلك على معنى ضرب الخراج في الاسلام فانهم كانوا يعدُّون الارض ملكاً لهم وقد سلموها لاهلها على سبيل الايجار بالكراء فصار معنى الخراج بعد ذلك « ما وضع على رقاب الارض من

حقوق تؤدي عنها » ثم صار الخراج مقاسمة او مساحة أو سيحاً أو سقياً وا كثرها الفاظ جديدة لمعان جديدة

و « الحكومة » كانت تدل في الجاهلية على الفصل بين المتخاصمين لانها مصدر حكم اي قضى وتلك كانت اعمال صاحب الحكومة في الجاهلية ثم تحول معناها الى « ارباب السياسة او رجال الدولة »

و « السكة » في الاصل الحديدة المنقوشة التي كانوا يضربون عليها النقود ثم سميت النقود بها واشتقوا منها الافعال والاسماء لهذا المعنى

« والتوقيع » الاصل فيه « التأثير » من قولهم « وقع الوبر ظهر البعير توقيعاً اثر فيه » ثم استعملوه في الاسلام لما يوقعه الكاتب على القصص المرفوعة الى الخليفة او السلطان او الامير فكان الكاتب يجلس بين يدي السلطان في مجالس حكمه فاذا عرضت قصة (عرضحال) على السلطان امر الكاتب ان يوقع عليها (يؤشر) بما يجب اجراؤه • ثم تحوّل معناها الى اسم علامة السلطان كالامضاء عندنا — وعلى نحو هذا النمط تحوّل معنى « الامضاء » اليوم الى التوقيع ومعناه في الاصل « التنفيذ » فكان توقيع السلطان على القصة عبارة عن أمر رجال الدولة في امضائها اي تنفيذ توقيعه ثم تحوّل معناها الى التوقيع اي وضع العلامة على الصكوك ونحوها

ومن هذا القبيل « الوظيفة » فان الاصل في معناها « ما يقدّر من عمل وطعام ورزق وغير ذلك » ومنها وظف عليه الخراج ونحوه اي قدّره • فاستعملها كتاب الدولة العربية لهذا المعنى مع بعض الانحراف فقالوا « وظف الرجل توظيفاً عين له في كل يوم وظيفة » فالموظف الذي يأخذ الوظيفة او الراتب • ثم توسعوا في لفظ الوظيفة فدلوا بها على المنصب او الخدمة المعينة • والمشهور ان استعمالها لهذا المعنى من اصطلاحات هذا العصر ولكنه أقدم من ذلك كثيراً فقد استعملها لهذا المعنى جماعة من فحول الكتبة كابن خلدون في مقدمته والمقريزي في خططه وغيرهما • وتولد في أثناء تحول هذه اللفظة الى هذا المعنى الفاظ أخرى تقوم مقامها في معناها الاول كالراتب والجاري والماهية (وهذه فارسية الاصل من « ماه » شهر والماهية الشهرية) — واستحدثوا لفظة أخرى للمنصب لم يكن لها هذا المعنى من قبل وهي « الخطة » فمعناها في القاموس « الارض التي تنزلها ولم ينزل بها نازل قبلك » و « الخطة » بالضم « الخصلة وشبه القصة والامر والجهل » فاستعملوها بمعنى المنصب لعلاقة

لا نعلمها — ومن ذلك قول ابن خلدون « الوزارة أم الخطط الاسلامية والرتب الملوكية »

انتقال اللفظ من معنى الى آخر

وانتقال الالفاظ من معنى الى آخر بلا علاقة ظاهرة بين المعنيين كثيرٌ في اللغة العربية ومنها الاضداد أي اللفظ ذو المعنين المتضادين • واسباب هذا الانتقال كثيرة يصعب تتبعها في كل ما نراه من الاختلاف في معاني اللفظ الواحد او مشتقاته لكننا نذكر اربعة منها على سبيل المثال

(١) دخول كلمة أعجمية لفظها يشبه لفظ كلمة عربية فيجعلونها من مشتقاتها كما فعلوا بالبلاط بمعنى القصر فانهم أخذوها عن اللاتينية فاشبهت لفظ البلاط الحجر المعروف فجعلوها من مشتقات « بلط »

ومثل قولهم « تباشير » فقد شقها القاموس من « بشر » فقال « التباشير البشرى ••• وتباشير الصبح اوائله وكذلك أوائل كل شيء ولا يكون منه فعل » واللفظة فارسية مركبة من تبا « مثل » وشير « لبن » اي ابيض كاللبن وكان الفرس يدلون بها على بياض الصبح عند اول شروق الشمس فاقتبسها العرب منهم ودلوا بها على أوائل كل شيء وعلى البشرى

(٢) استعمال لفظين معاً لمعنىً ثم اهمال احدهما بالاستعمال التماساً للاختصار فيبقى الآخر للدلالة على ذلك المعنى مثل قولهم « ارتفاع » بمعنى جباية فيقولون « ارتفاع الدولة » ويريدون مقدار جبايتها اي مجموع دخلها • وليس في هذه اللفظة ما يلمح منه هذا المعنى ولا ذكره لها القاموس • وأصل هذه الدلالة انهم كانوا يستعملون ارتفاع مع لفظ جباية فيقولون « ارتفاع جباية الدولة » أي مقدار ما بلغت اليه جبايتها (من ارتفع السعر اي غلا) ثم اسقطوا « الجباية » للاختصار فظلت « ارتفاع » وحدها لنفس ذلك المعنى • ومثل ذلك قولهم « اشفى العليل » بمعنى « امتنع شفاؤه » (اي ضد معنى المادة الاصلي الشفاء) وسبب هذا التضاد ان « اشفى » من مشتقات « شفا » الواوية بمعنى الاشراف او الاقتراب وليس من مشتقات « شفى » اليائية كما اوردها القاموس • فكانوا يقولون « اشفى المريض على الموت » اي أشرف عليه ثم

اختصروه فقالوا « اشفى المريض » لنفس هذا المعنى والتبس على صاحب القاموس اصل مادتها فعدّها من مشتقات شفى • وكذلك قولهم « عقد له » بمعنى « ولاه » وليس في مادة « عقد » ما يقرب من هذا المعنى ولا رأينا في القاموس انها تستعمل لمعنى الولاية ولكنها كثيرة الورود في كتب التاريخ لهذا المعنى • والاصل في هذه الدلالة ان الخلفاء في صدر الاسلام كانوا اذا وجهوا جيشاً الى حرب عقدوا له الالوية وسلموها الى الامراء لكل امير لواء وكان توجيههم الى الفتح يتضمن معنى الولاية على البلاد التي يفتحونها • ثم صار الخلفاء بعدهم يعقدون ذلك اللواء للامراء عند توليتهم بعض الامارات فيقال « عقد له اللواء على البلد الفلاني » اي ولاه اياه ثم اختصروها فقالوا « عقد له » — ولمثل هذا السبب يستعمل كتابنا اليوم « برهة » بمعنى الزمن القصير وهي تدل في الاصل على الزمن الطويل فالظاهر انهم كانوا يقولون « برهة قصيرة » او « برهة وجيزة » للزمن القصير ثم استعملوا برهة وحدها لهذا المعنى

(٣) تفرع اللفظ الواحد بالقلب والابدال الى الفاظ كثيرة تدل على تفرعات المعنى الاصلي • وامثلة ذلك كثيرة في اللغة لا حاجة الى ذكرها • ولكن قد يتنوع المعنى ويبقى اللفظ على حاله فيندر ان يهتدى الى سبب ذلك التنوع — ومن اغرب الامثلة على ذلك « جنّ » ومشتقاتها فانها تدل على معان كثيرة ترجع الى « الظلمة والاختفاء والجنون والجنّ والجنة » ولا يخفى على ما بين هذه المعاني من التباين والتناقض • فلنتتبع هذه اللفظة الى أصلها لعلنا نهتدي الى تعليل هذا الاختلاف : —

يظهر لنا ان هذه المادة قديمة في تاريخ اللغة بدليل وجودها في كل اللغات السامية وامهات اللغات الآرية • فهي في العبرانية والسريانية على نحو ما هي في العربية لفظاً ومعنىً • وفي السنسكريتية « جان » الروح وكذلك في الفارسية • ويظهر انها حدثت والانسان في أوّل ادوار حياته اي يوم كان المغول والآريون والساميون وغيرهم عائلة واحدة لان الصينيين يدلون على الروح بنحو هذا اللفظ اي « تسن » • واما في اليونانية واللاتينية فتدلُّ على الولادة او التسلسل وهما من فروع المعنى الاصلي • و « جانا » في السنسكريتية « مسكن الارواح او الآلهة » ولعل هذا هو الاصل في دلالة لفظ « الجنة » (الفردوس) في اللغات السامية ايضاً • ثم

تنوقلت حكاية الخليقة عند الساميين اجيالاً قبل تدوينها فعرض في اثناء ذلك انتقالهم الى اعتقاد التوحيد فاثر هذا الانتقال على معنى تلك اللفظة وتحوّل الى ما نعلمه . فلما كتب سفر الخليقة كان المعنى الاول قد تنوسي من اللغة العبرانية فضاع كما ضاع معنى لفظ « عدن » . فجرَّ ذلك الى الرجم في تفسيرها بعد ذلك . اما في السنسكريتية فلفظ « أدن اوعدن » معناه الأكل او الطعام — وربما كان هذا هو المراد بجنة عدن في حكاية سفر الخليقة لان الله خلق الانسان ووضعه في « جنة عدن » وغرس له فيها الاشجار ليأكل ومنعه من شجرة الخير والشر كأنه اقامه في جنة فيها أكلهُ . ثم ان دلالة مادة « جان » او « جن » على الروح في اللغات السامية لا يزال اثرها باقياً في لفظ « الجان » العربية والاصل في دلالتها « كل ما استتر عن الحواس من الملائكة او الشياطين » اي الارواح على اطلاقها . وكان اعتقاد الناس في سبب الجنون انه عبارة عن حلول تلك الارواح في المجنون فعبروا عن الجنون بلفظ مشتق من « الجان » فقالوا « جنَّ الرجل على المجهول زال عقله او فسد او دخلته الجن » . ونظراً لاختفاء الارواح عن حواس البشر وخصوصاً عن انظارهم دلوا بتلك اللفظة على الظلمة والاختفاء او الاستتار فقالوا جنَّ الليل اظلم وجنهُ الليل ستره . فتعلل بذلك تنوع معنى هذه اللفظة الى المعاني الخمسة التي ذكرناها . وكل ما لمشتقات هذه اللفظة من المعاني يرجع الى احدها

ويحسن بنا في هذا المقام ان نتتبع تاريخ هذه اللفظة في الافرنجية وما يقابلها في اللغات السامية فقد خسرت دلالتها على « الروح » في كل اللغات الآرية (الا الفارسية والسنسكريتية) وصارت تدل على ما يقارب ذلك وهو التوليد من gen ومشتقاتها ومنها Γενος في اليونانية و genus في اللاتينية ومشتقاتها بمعنى الصنف من الناس . ويقابلها في العربية « جنس » ويقابل gen في العربية « جيل » واللفظ والمعنى متقاربان

ولم تخسر لفظة « جان » دلالتها على « الروح » الا بعد ان تولد ما يقوم مقامها لاسباب ترجع الى تغيير حدث في عادات الامم او اعتقاداتهم . واهم ما حدث في اعتقادات البشر الانتقال من الشرك الى التوحيد . فلما اعتقد الساميون التوحيد اصبحت الارواح السماوية عندهم اي الملائكة خدماً للاله العظيم ينفذها حيث شاء لتبليغ اوامره او نواهيه . فعبروا عن الروح بلفظ « الرسول » وهذا معنى « الملاك » في اللغات السامية فانه اسم مفعول من « هالك » ارسل واصل المادة « هَلَكَ » مشى

او سار · ومنها قولهم في التوراة ملاك الرب اي رسول الله · وقد فقدت هذه المادة في العربية ولا يزال اثرها باقياً في « ألوكة » اي الرسالة

وحدث نحو ذلك في اللغات الآرية فان معنى الملاك عندهم يرجع الى« Angel» وهي مأخوذة من Αγγελος اليونانية (الجلوس) ومعناها « الرسول » كانهم ترجموا لفظ ملاك الى لسانهم حرفياً

(٤) اكتساب اللفظ معنى جديداً من عادة شائعة كما اكتسب لفظ « بني » معنى الزواج من ضرب القباب على العروس ليلة الزفاف وجملة « عقد له » معنى « ولاه » وقد تقدم ذكرها

وبالجملة فقد حدث في اثناء التغيير الاداري في الدولة الاسلامية نهضة عظيمة احدثت تغييراً كبيراً في اللغة لفظاً ومعنى · وليس ما ذكرناه الا امثلة قليلة

(٢) الالفاظ الادارية الاعجمية

في الدولة العربية

اما الالفاظ التي اقتبسها العرب في اثناء انشاء دولتهم فكثيرة ايضاً نأتي بامثلة منها — من اقدم ما اقتبسوه من الالفاظ الادارية الفارسية « الديوان » على عهد عمر بن الخطاب فانه اوّل من دوّن الدواوين في الاسلام فوضع الديوان على نحو ما كان عند الفرس واستعار له اللفظ الفارسي · فاستعمل اولاً للدلالة على ديوان الجند فكانوا اذا قالوا الديوان ارادوا ديوان الجند فقط ثم اطلقوه على سائر الدواوين والحقوا به الفاظاً تميز بينها كديوان الانشاء وديوان العرض وديوان الضياع وديوان الخراج وهي كثيرة · ودلوا به على الكتاب الذي تدوّن فيه اسماء الجنود فكانوا اذا قالوا فلان من اهل الديوان ارادوا انه ممن اثبتت اسماؤهم في ذلك الكتاب · ثم اطلق على كل كتاب ثم انحصر في الدلالة على الكتب التي تجمع فيها الاشعار فاذا قالوا ديوان فلان ارادوا به مجموع اشعاره

ولما كان اهل الديوان يجتمعون في مكان واحد سموا ذلك المكان ديواناً واطلقوا لفظ الديوان على كل مجلس يجتمع فيه لاقامة المصالح او النظر فيها · والعامة تعبر بالديوان عن المقعد

وقس على ذلك كثيراً من الالفاظ الفارسية المتعلقة باصطلاحات الحكومة وخصوصاً الجند والاسلحة ونحوها كالخوذة والجامكية والجزية والدولاب والدلق ودهقان والدانق ورستاق وسباهي والبريد وزنديق وكسرى ونيشان ويلق والطراز ونحوها

والالفاظ اليونانية الادارية قليلة في اللغة العربية ومنها الاسطول والمنجنيق والدرهم والبطاقة والقنداق والكردوس والليمان

واذا تدبرت تاريخ هذه الالفاظ في لغاتها الاصلية او بعد انتقالها الى العربية رأيت مدلولاتها تنوعت بتنوع الاحوال فالدرهم مثلاً الاصل فيه الدلالة على الوزن ثم دلوا به على نقد وزنه درهم ثم اطلق على النقود كلها

واما الالفاظ اللاتينية فمنها البلاط (بمعنى قصر الملك) والدينار والدمستق . وربما ادخلوا الفاظاً تركية او هندية او كلدانية او نبطية او نحوها مما يضيق المقام عن استيفائه

الالفاظ العلمية

في الدولة العربية

(العصر العباسي) نريد بالالفاظ العلمية ما اقتضاه نقل كتب العلم والفلسفة الى اللغة العربية في العصر العباسي من الالفاظ الجديدة لتأدية ماحدث من المعاني مما لم يكن له مثيل في لسان العرب كالاصطلاحات الطبية والكيماوية والفلسفية والطبيعية والرياضية والفلكية والمنطقيـة وما ألحق بذلك من اصطلاحات علم الكلام والتصوف ونحوهما • وشأن أهل العصر العباسي في نقل تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية وغيرها مثل شأننا في نقل علوم هذا العصر من الفرنساوية والانكليزية والالمانية وغيرها • بل هم كانوا أحوج منا الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية لاستغنائنا عن كثير من ذلك بما وصل الينا مما اقتبسوه ونوَّعوه من تلك الالفاظ

ولم تقتصر تلك النهضة العلمية على تنويع الالفاظ وتبديلها ولكنها احدثت تنويعاً في التعبير يسهل علينا تصوره لكثرته في نهضتنا هذه مما سنذكره في حينه — فالتغيير الذي أصـاب اللغة العربية بنقل كتب العلم والفلسفة قسمان احدهما في المفردات والآخر في التراكيب • والتغيير اللفظي اما بتنوع الالفاظ العربية او باقتباس الفاظ اعجمية

الالفاظ العلمية العربية

في الدولة العربية

هي الفاظ عربية تنوعت معانيها للدلالة على ما حدث من المعاني الجديدة العلميـة والفلسفية التي تنوعت من قبل للدلالة على المعاني الشرعية واللغوية والادبية في صدر الاسلام

واول تلك الالفاظ اسماء العلوم التي نقلت الى لساننا او حدثت فيه على أثر ذلك كالطبيعيات والالهيات والرياضيات والمنطق والهيئة والجبر والمقابلة ونحو ذلك مع ما في كل علم من الاصطلاحات الخاصة به وهي كثيرة جداً اليك امثلة منها :

(١) الالفاظ الطبية

فالفاظ الطبية العربية لم يكن منها في الجاهلية الا مفردات قليلة كالحجامة والكي ونحوها فحدث منها ما يدل على فنون الطب كالكحالة والصيدلة والتشريح والجراحة والتوليد ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن كاسماء الرطوبات والامزجة والاختلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبلغم والنبض والتخمة والانذار والهضم والبحران والمشاركات

واسماء الادوية كالمسخنات والمبردات والمرطبات والمجففات والمسهلات والنطولات والمخدرات والاستفراغات والسعوطات والادهان والمراهم والاطلية

وأفعال تلك الادوية مثل ملطف ومحلل ومنضج ومخشن وهاضم وكاسر الرياح ومحمر ومحكك ومقرح واكال ولاذع ومفتت ومعفن وكاو ومبرد ومقو ومخدر ومرطب وعاصر وقابض ومسهل ومدر ومعرق ومزلق ومملس وترياق وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية الفسخ والهتك والوثي والرض والخلع والفتق وتفرق الاتصال ومفارقة الوضع والجبار وغيره

ناهيك باسماء الامراض او اعراضها كالصداع والكابوس والصرع والتشنج واللقوة والرعشة والاختلاج والسرطان والسلاق والشترة والشرناق والخانوق والذبحة والربو وذات الجنب وذات الرئة والجهر والضمور والخفقان والغشيان واليرقان والاستسقاء والدبيلة والاسهال والزحير والسحج والسدد والهيضة والبواسير ونحو ذلك مما لا يمكن حصره

ومن أوصاف الامراض انواع الحميات كالمزمنة والحادة والمختلطة والغب والمطبقة والربع والدق وغيرها . غير الالفاظ التشريحية كاسماء الاوعية الدموية ورطوبات العين وسائر الاعضاء الباطنة التي لم يكن العرب يعرفونها

ولاكثر الالفاظ الطبية العربية معان لغوية عرفها العرب قبل عصر العلم فلما احتاجوا الى المعاني الجديدة استعملوا من تلك الالفاظ ما يقرب معناه من المعنى المقصود

(٢) الالفاظ الرياضية

ويقال نحو ذلك في الالفاظ الكيماوية والرياضية والفلكية وسائر العلوم الطبيعية مما يضيق هذا المقام عن استيفائه وقد يلزم لاصطلاحات كل علم كتاب برمته

فمن امثلة الالفاظ الفلكية اكثر اسماء الابراج والافلاك والمصطلحات الفلكية والازياج وما يلحق ذلك كالرصد والتعديل والتقويم والخسوف والكسوف

ومن الالفاظ الرياضية في الهندسة والحساب والجبر ما لا يحصى كالمماس والمخروط والمثلث والمربع وغير ذلك

(٣) الالفاظ الفلسفية والمنطقية والكلامية

واما الفلسفة والمنطق فاصطلاحاتهما تفوق الحصر . ومن العلوم التي اقتضاها التمدن الاسلامي بعد نقل الفلسفة والمنطق الى لسان العرب علم الكلام والتصوف مع التوسع في الفقه والاصول . وقد كان لهذه العلوم تأثير كبير في اللغة العربية فنوعت الفاظها واحدثت فيها الفاظاً جديدة :

كقولهم الكون والظهور والقدم والحدوث والاثبات والنفي والحركة والسكون والماسة والمباينة والوجود والعدم والطفرة والاجسام والاعراض والتعديل والتجرير والمصاف من اصطلاحات علم الكلام

والهاجس والمريد والمراد والسالك والمسافر والسطح والقطب والهيبة والانس والبقاء والعناء والشاهد والفترة والمجاهدة من اصطلاحات التصوف

وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى صارت تعدّ بالالوف فاضطروا الى وضع المعجمات الخصوصية لتفسيرها وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن اشهر تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومئة صفحة و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفي صفحة كبيرة و « كليات ابي البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية » الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظاً اوردوا معناه اللغوي ثم معناه الاصطلاحي في الفقه او الكلام او التصوف او الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية او الطبيعية او النحوية . وقد يغفلون المعنى اللغوي على الاطلاق

فيقول الجرجاني في لفظ « القياس » مثلاً « القياس في اللغة عبارة عن التقدير يقال قست النعل بالنعل اذا قدرته وسويته وهو عبارة عن رد الشيء الى نظيره . وفي الشريعة عبارة عن المعنى المستنبط من النص لتعدية الحكم من المنصوص عليه الى غيره وهو الجمع بين الاصل والفرع في الحكم . وفي المنطق قولٌ مؤلف من قضايا اذا

سلمت لزم عنها لذاتها قول آخر كقولنا العالم متغير وكل متغير حادث فانه قول مركب من قضيتين اذا سلمتا لزم عنهما لذاتهما العالم حادث هذا عند المنطقيين . وعند اهل الاصول القياس ابانة مثل حكم المذكورين بمثل علته في الآخر واختيار لفظ الابانة دون الاثبات لان القياس مظهر للحكم لا مثبت وذكر مثل الحكم ومثل العلة احتراز عن لزوم القول بانتقال الاوصاف واختيار لفظ المذكورين ليشمل القياس بين الموجودين و بين المعدومين » ثم ميز الجرجاني بين انواع القياس بالفاظ تلحق به كالقياس الجلي والخفي والاستثنائي والاقتراني وقياس المساواة ولكل منها معنى اصطلاحي خاص

وفي الاصطلاحات الصوفية « الهاجس ـ يعبرون به عن الخاطر الاول وهو الخاطر الرباني وهو لا يخطئ ابداً وقد يسميه سهل السبب الاول ونقر الخاطر فاذا تحقق في النفس سموه ارادة فاذا تردد الثالثة سموه همة وفي الرابعة سموه عزماً وعند التوجه الى القلب ان كان خاطر فعل سموه قصداً ومع الشروع في الفعل سموه نية . والمريد ـ هو المتجرد عن ارادته وقال ابو حامد هو الذي فتح له باب الاسماء ودخل في جملة المتوصلين الى الله بالاسم . والمراد ـ عبارة عن المجذوب عن ارادته مع تهيىء الامور له فجاوز الرسوم كلها والمقامات من غير مكابدة . والسالك ـ هو الذي مشى على المقامات بحاله لا بعلمه فكان العلم له عيناً . والمسافر ـ هو الذي سافر بفكره في المعقولات والاعتبارات فعبر من عدوة الدنيا الى عدوة القصوى . والسفر ـ عبارة عن القلب اذا اخذ في التوجه الى الحق تعالى بالذكر . وقس على ذلك

٢ — الالفاظ العلمية الاعجمية

في الدولة العربية

لما اشتغل العرب في تعريب العلوم فما استطاعوا نقله من اصطلاحاتها الى لسانهم نقلوه ونوعوا الالفاظ على مقتضى المراد كما تقدم . وما لم يستطيعوا تعريبه نقلوه بلفظه الى لسانهم واكثر ما يكون ذلك في اسماء العقاقير والامراض اوالادوات اوالمصنوعات مما لم يكن له شبيه في بلادهم

فما اقتبسوه من اسماء العقاقير الافسنتين والبقدونس والزيزفون والسقمونيا

والقنطاريون والمصطكي من اللغة اليونانية

والبابونج والبورق والبنج وخيارشمبر والراتينج والزرجون والزرنيخ والزاج والسرقين والاسفيداج والشاهترج والشيرج والمرداسنج من اللغة الفارسية

ومن اسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبية القولنج والترياق والكيموس والكيلوس وقيفال واومان ومالنخوليامن اليونانية . وسرسام ومارستان من الفارسية

ومن المصنوعات والادوات الاصطرلاب والقيراط والانبيق والصابون من اليونانية والبركار والبوتقة والجنزار والدسكرة والاسطوانة من الفارسية

ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها الهيولى والاسطقس والفلسفة والطلسم والمغنطيس والاقليم والقاموس والقانون من اليونانية — غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية واكثره من اسماء العقاقير ونحوها

فترى مما تقدم ان اهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتادية المعاني التي نقلوها عن الاعاجم بل كانوا كثيرًا ما يستخدمون للمعنى الواحد لفظين من لغتين اعجميتين . فالسرسام مثلاً اسم فارسي لورم حجاب الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ولما ترجموا الطب من لغة اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » ولو استنكفوا من استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعًا

٣ — التراكيب الاعجمية في اللغة العربية

في الدولة العربية

هذا مطلب بعيد الاطراف يستغرق درسًا طويلاً وبحثًا عميقًا لا ياذن بهما المقام فنكتفي بالتنبيه اليه تاركين الخوض فيه الى فرصة اخرى ونأتي ببعض الامثلة لتأييد قولنا . لكننا بالقياس على مادخل اللغة العربية من التراكيب الاجنبية في اثناء نهضتنا الاخيرة بما نقلناه من علوم الافرنج الى لساننا نحتم بحدوث مثل ذلك في النهضة العباسية ونقلة العلم يومئذٍ من غير اهل اللسان العربي . على اننا لو فحصنا لغة ذلك العصر وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب لرأينا الفرق بينهما واضحًا . واذا دققنا النظر في سبب ذلك الفرق رأينا عبارة اصحاب الفلسفة

تمتاز بامور هي سبب ضعفها وركاكتها منها :

(١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله اهل اللغات الافرنجية

(٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم

(٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول

(٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدا والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه

(٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم روحاني ونفساني و باقلاني ونحو ذلك مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا يستحسن في اللسان العربي

ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية ما لم يكن لهم مندوحة عنها ولا باس منها :

(١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال أل التعريف عليها كقولهم اللانهاية واللاأدرية واللاضرورة

(٢) صوغ الاسم من الحروف او الضمير مثل قولهم اللميّة والكيفية والكمية والهوية

(٣) نقل الالفاظ من الوصفية الى الاسمية كقولهم المائية والمنضجة والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل قولهم « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسي

الالفاظ العامة

في الدولة العربية

كل ما ذكرناه من امثلة نمو اللغة العربية في العصر الاسلامي انما هو قاصر على تفرع الفاظها وتجددها بما اقتضاه الشرع والعلم والفلسفة والادارة والسياسة . وهناك تغييرات اخرى نتجت عما طرأ على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلاً عن التجارة والصناعة وما اقتضاه كل منها من تنوع الالفاظ العربية او اقتباس الالفاظ الاجنبية كاسماء الانغام الموسيقية والالحان وفروعها . غير ما اقتبسه المسلمون من العادات الاجنبية وما يتبع ذلك من اسماء الالبسة والاطعمة والاحتفالات مما تغني شهرته عن ايراده

وهناك تغييرات اخرى اصابت الفاظ اللغة بغير داع من الدواعي التي قدمناها بل هي جرت في ذلك على ناموس الارتقاء العام القاضي على الاحياء بالتجدد والتنوع والتفرع لاسباب بعضها معلوم وبعضها غير معلوم . والغالب في هذا التنوع ان يكون بالانتقال من معنى كلي الى معنى جزئي او من معنى الى ما يشبهه او يتعلق به مما يعبرون عنه بالتوليد . فالالفاظ المولدة هي التي أحدثها المولدون بعد ان دوّنت اللغة وضبطت الفاظها في أوائل الاسلام . والالفاظ المولدة اكثر كثيراً مما يظن اللغويون بل هي تتولد على الدوام بلا انقطاع . وكل ما تقدم ذكره من الالفاظ الاسلامية والادارية والعلمية والتجارية انما هو من قبيل المولد ولكنهم قلما يسمونها مولدة — وعندهم ان القاموس هو الحكم الفصل في العربي والمولد والعامي . فما لا يذكره القاموس بين الالفاظ العربية عدوه عامياً او مولداً وحظروا استعماله

ولكن القاموس وحده لا يكفي للحكم في ذلك لانه لم يحو كل ما تناقلته السنة البلغاء او تداولته اقلام الكتباء ولا كل ما نطقت به العرب . وقد انتبه الى ذلك أئمة اللغة في العصر الاسلامي وما بعده ونبهوا اليه — قال ابن فارس « ان لغة العرب لم تنته الينا بكليتها وان الذي جاءنا عن العرب قليل من كثير » وقال السيوطي « ومع كثرة ما في القاموس من النوادر والشوارد فقد فاته أشياء ظفرتُ بها في أثناء

مطالعتي لكتب اللغة حتى هممت ان أجمعها في جزء مذيلاً عليه »

فعدم ورود اللفظ في القاموس لا يدلّ دائماً على انه عامي او ضعيف . ناهيك بالفاظ كثيرة اكتسبت بالحضارة معاني جديدة لم يدونها القاموس لان الأئمة اعتبروها من قبيل الالفاظ العامية ولكن الكتاب استعملوها وفيهم المشاهير المشهود لهم بالبلاغة وسلامة الذوق :

فالاصل في معنى « البيت » في القاموس البناء المعروف والشرف والشريف . فكانوا يقولون بيت بني تميم اي شرفهم وفلان بيت قومه اي شريفهم وبيت القصيدة أحسن ابياتها قال « والعامة تقول هو من بيت فلان اي من عائلته » مع ان استعمال البيت بمعنى العائلة مما تداولته أقلام البلغاء وفي مقدمتهم ابن خلدون وقد عرّفه بقوله « البيت ان يعدّ الرجل في ابائه اشرافاً مذكورين تكون له بولادتهم اياه والانتساب اليهم تجلة في أهل جلدته » وقال « وكان بنو اسرائيل بيتاً من أعظم بيوت العالم »

و « الحضارة » الاصل في معناها سكنى المدن اي ضد البداوة فلما تحضر العرب وكثر الترف في مدنهم صار معنى الحضارة عندهم « التفنن في الترف واحكام الصنائع المستعملة في وجوهه ومذاهبه من المطابخ والملابس والفرش وغيرها »

ويقال نحو ذلك في « العمران » فان أصل معناها من عمر الرجل في المكان سكن فيه ثم صارت تدل على معنى المدنية والحضارة

وهذا ما اصاب لفظ « التمدن » فانها من تمدن الرجل اي تخلق باخلاق أهل المدن ثم دلوا بها على مثل ما تدل عليه الحضارة او العمران او المدنية

وقد استعملوا « ركاب السلطان » بمعنى موكبه ولا تجد لهذه اللفظة هذا المعنى في القاموس ولكن الكتاب استعملوها له

وكذلك « كافة » فقد نبه القاموس انها تستعمل في مثل « جاء الناس كافةً » اي كلهم وانها لا تدخل عليها أل التعريف ولا تضاف . ولكن بلغاء الكتاب قد استعملوها في الحالين مراراً : —

قال ابن خلدون « لما كان الجهاد فيها مشروعاً لعموم الدعوة وحمل الكافة على دين الاسلام »

وقال صاحب أدب الدنيا والدين « وفرض جميعه على الكافة كان اولى مما لم يجب

فرضه على الاعيان ولا على الكافة »

وقال ابو اسحق الصابي الكاتب الشهير من نسخة عهد كتبها عن المطيع لله الى الغضنفر بن ناصر الدولة « امره ان يعرف لركن الدولة ابي علي وعز الدولة ابي منصور مولي امير المؤمنين تولاهما الله حق منزلتهما من أمير المؤمنين وغنائهما عن كافة المسلمين »

ومن الالفاظ التي استعملها الكتاب القدماء واقتدى بهم كتابنا مع ان استعمالها يخالف قول القاموس تخصيص « القينة » بمعنى المغنية والاصل اطلاقها على الامة مغنية كانت او غير مغنية

و « المقراض » و « المقص » فان الاصل في استعمالها بالمثنى لانهما مقراضان ومقصان اي شفرتان فيقال « قرضته بالمقراضين » و « قصصته بالمقصين » وقلما ترى بين الكتاب القدماء او المحدثين من يستعملها كذلك بل هم يقولون قرضته بالمقراض وقصصته بالمقص

والاصل في « المأتم » الاجتماع على العموم ثم خصصوه بالاجتماع في مجمع النياحة

و « أرق » في الاصل للسهر في مكروه ثم صار عاماً

ومن الاستعمالات الجارية على أقلام الكتاب وهي خطأ باعتبار القواعد المدونة قولهم « بدأبه أولاً » والصواب « بدأبه أولُ » مثل قولهم قبلُ وحكمهما واحد

ومن هذا القبيل جمع حاجة على حوائج وعادة على عوائد وهما شائعتان عند الكتاب مع مخالفتهما للقاعدة

وكذلك جمع ريح على ارياح خطأ ولكن الحريري استعملها ومثله جمع ارض على اراضي وجمع الجواب على أجوبة

وقولهم « شفعه بثالث » غلط اذ لا يقال شفعه الا للثاني من الشفع

والاصل في « القافلة » الرفقة الراجعة فصارت تطلق على الرفقة المسافرين ذهاباً أو أياباً

وقس على ذلك تنوعات كثيرة يعدها القاموس خطأ وقد نبه الى خطأها جماعة من فطاحل البلغاء وألفوا في تصحيحها الكتب

وأشهر ما ألفوه كتاب درة الغواص في اوهام الخواص لابي محمد الحريري صاحب المقامات وقد شرحها وعلق عليها كثيرون منهم ابن بيري بن عبد الجبار النحوي

المتوفى سنة ٥٨٢ ﻫ وابو عبد الله المعروف بحجة الدين الصقلي المتوفى سنة ٥٥٥ وابن المظفر المكي المتوفي سنة ٥٦٨ وابن الخشاب النحوي وابو بكر الانصاري واحمد الخفاجي المصري وغيرهم • وكل من هؤلاء اضاف الى ذلك الكتاب الفاظاً من هذا القبيل فاتت صاحب الدرة ونبهوا الى خطأ استعمالها • ومع ذلك فالطبيعة غلبت على آرائهم وأقوالهم لان ما عدوه خطأ انما هو من نتائج النواميس الطبيعية التي لابدَّ منها — سنة الله في خلقه

الالفاظ النصرانية واليهودية

في اللغة العربية

نريد بالالفاظ النصرانية واليهودية ما دخل اللغة العربية من الاصطلاحات الدينية لاهل الكتاب وخصوصاً بعد ان نقلت التوراة والانجيل الى اللسان العربي ٠ فقد كانت لغة الدين المسيحي قبل الاسلام السريانية واليونانية والقبطية ٠ ولغة اليهود العبرانية على تفاوت في استخدام الواحدة دون الاخرى واختلاف ذلك باختلاف العصور والاماكن

فلما جاء الاسلام وانتشر المسلمون في العراق والشام ومصر وتسلطت اللغة العربية أخذت تلك اللغات تتقهقر حتى توارت ولم يبق منها الاَّ آثار قليلة في بعض الطقوس فالمسيحيون اصبحت العربية لغتهم ولكنهم لم يستطيعوا التعبير بها عن كل اصطلاحاتهم الدينية ولما ترجموا التوراة والانجيل الى العربية ابقوا كثيراً من الالفاظ الدينية على لفظها ومعناها ٠ على ان كثيراً من الالفاظ النصرانية دخلت اللغة العربية في العصر الجاهلي كالقسيس والدير والتوارة والانجيل وغيرها

١ — الالفاظ الدينية السريانية

واليك اشهر الالفاظ النصرانية واليهودية التي دخلت اللغة العربية واصلها سرياني او كلداني مرتبة على احرف الهجاء وقد يشتبه بعضها بالاصل العبراني ٠ او ربما كان بعضها عبرانياً وقد وصل العربية على يد السريان

اب بالمد لاسم الله	بحران	تفشرة	جهنم
عز وجل	برخ	توبة	حانوت
أسطوانة	برنساء	توراة	حبر
آمين	ترعة	تيمن	دين بمعنى الحكم
أنيا	تلميذ	جالوت	دير
باعوت	تور	جبروت	رشم الطفل

زياح	صحاح	قدّاس	مزمور
زيق	صراط	قربان	مَشحة
ساعور	صلوت	قسيّس	ملكوت
تسبيح	طاغوت	قيامة	مَيمر
سبط	طوبى	كاروز	ناسوت
سعانين	طور	كرّاس	ناطور
سفر	طوفان	كنيسة	ناقوس
سفسير	عرّاب	كهنوت	نياحة
سليح	عروبة	كورة	يمّ
سنور	عماد	لاهوت	يونانيّ
شبين	غفّارة	مار	
شماس	فصح	مرعزّا	

فضلاً عن اسماء الشهور الشمسية مثل كانون وتشرين وايلول

﴿ الالفاظ النصرانية اليونانية ﴾ ومن الالفاظ النصرانية ما هو من اصل يوناني دخل العربية اما رأساً او بواسطة اللغة السريانية مثل قولهم انجيل وهرطقة واسقف ومطران وطقس وطغمة وقس على ذلك

٢ — التراكيب او العبارات النصرانية

نريد بهذه التراكيب ما دخل العربية من اساليب اللغة السريانية والعبرانية واليونانية وخصوصاً بعد ترجمة التوراة وهي كثيرة نأتي بأمثلة منها :

فمن التراكيب العبرانية قولهم :

قال في قلبه — اي افتكر

واستراح الله من جميع عمله الذي عمله

من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً ... واذا اكلت موتاً تموت

وحدث بعد ايام ان قايين قدم اثماراً . وحدث اذ كانا في الحقل ان قايين قام على اخيه الخ

فيكون اذا رآك المصريون انهم يقولون هذه امرأته

صنع له خيرًا وصنع له شرًّا — بدل احسن اليه واساء اليه

ورفع عينيه ونظر

وصار كلام الرب الى ابرام قائلاً

قد وجد نعمة في عينيه

حسن ذلك في عيني الله · وقبح ذلك في عيني الله

فتح فاه وعلّمهم

ومن التراكيب اليونانية قولهم :

هكذا مكتوب بالنبي

وفي تلك الايام جاء يوحنا المعمدان

ثم اصعد يسوع الى البرية من الروح ليجرب من ابليس

وفيما هو خارج من الطريق ركض واحد وجثا له

تكلم الرب بفم انبيائه

وربما كان في بعض هذه التراكيب مسحة غير يونانية لاعتماد اكثر مترجمي الاناجيل على بعض ترجماتها في اللغات الاخرى فضلاً عن الاصل اليوناني — على اننا لانعدُّ هذه التراكيب مما يستحسن اقتباسه والنسج على منواله وانما هو خاص في لغة الكتاب المقدس ادخله المترجمون لاضطرارهم الى المحافظة على النص الحرفي

الالفاظ الدخيلة والمولدة

في عصر الانحطاط

ما برحت اللغة العربية منذ الفتح الاسلامي وهي تكتسب الالفاظ الاعجمية والتراكيب الاجنبية كما رأيت مما دخلها من الالفاظ الادارية والعلمية في العصر العباسي وغيره حتى في العصر الجاهلي . ولكن المراد بالالفاظ الاعجمية في هذا الفصل ما خالط اللغة من الالفاظ والتراكيب الاعجمية بعد انقضاء دولة العرب وافضاء الملك الى السلاطين والامراء من الفرس والديلم والترك والاكراد والجركس في العراق وفارس والشام ومصر وغيرها

لان اللغة العربية ما زالت سائدة في تلك الدول على اختلاف نزعاتها ولغاتها وكانت في اكثرها هي اللغة الرسمية التي تتخاطب بها الحكومات . ولم تكن الدول الاعجمية اقل عناية بآداب اللغة العربية من الدول العربية بل كانوا اكثر اهتماماً منهم في انشاء المدارس وتعليم القراء واستنساخ الكتب ولكن حال العمران على اجماله يومئذٍ قضى على اللغة بالانحطاط فدخلها التكلف والتجمل والتصنع وتكاثرت فيها الفاظ التفخيم والتبجيل وشاع التسجيع في الانشاء وحدث في تلك الدول وظائف جديدة وتنوعت الوظائف القديمة فحدث في اللغة الفاظ جديدة او تنوعت الالفاظ القديمة للتعبير عن تلك المستحدثات

السجع والتفخيم

فالتفخيم والتبجيل والتمليق اقتضت العناية في تنميق العبارات وتحشيتها وكان السجع قد اشتهر على اقلام الكتاب فبالغوا في تنميقه وتوسيعه . والتزام السجع يدعو الى استخدام الالفاظ الوحشية المهجورة حتى يصير الى ماتنفر منه الاسماع

والسجع حسنٌ اذا جاء عفواً بلا تكلف لا ان يتعمده المسجعون بالتعمل والتصنع حتى يمجه الذوق وينفر منه السمع . واصبح التسجيع في ذلك العصر كثيراً يتفاخر به اكتب الكتّاب والناس يومئذٍ يعدُّون ذلك مستحسناً ونحن نراهُ قبيحاً ولو كان قائله من اشهر الكتبة كالعماد الاصفهاني فانه تعمد التسجيع في كلامه عن فتح بيت المقدس في كتابه

المسمى الفتح القسي وهو من اشهر كتبه واليك عبارة منه تدلُّ على باقيه وهي قوله في رحيل صلاح الدين للفتح « رحل من عسقلان للقدس طالبا . وبالعزم غالبا . وللنصر مصاحبا . ولذيل العز ساحبا . وقد اصحب رَيّض مناه . واخصب روض غناه . واصبح رائح الرجاء . أرِج الارجاء . سيب العُرْف . طيّب العرف . ظاهر اليد . قاهر الايد . سني عسكره قد فاض بالفضاء فضاء . وملأ الملأ فافاض الآلاء . وقد بسط عِثير فيلقه مُلاءته على الفلق . وكأنما اعاد انعجاج رأْدَ الضحى جنحَ الغسق . فالارض شاكية من اجحاف الجحافل . والسماء حاظية باقساط القساطل الخ »

فترى من نص هذه العبارة انهم كانوا يستعينون بالتسجيع للاطناب على ما اقتضاه حال تلك الايام وتلك الدول من التفخيم لان في التسجيع رنة توهم الاطناب والاطراء ولهذا السبب ايضاً كثرت المترادفات في نعوت التفخيم فمن امثلة ذلك ماقاله المرادي في تعريف الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه اعيان القرن الثاني عشر للهجرة قال :

« هو استاذ الاساتذة وجهبذ الجهابذة الولي العارف ينبوع العوارف والمعارف الامام الوحيد والهام الفريد العالم العلامة والحجة الفهامة البحر الكبير والحبر الشهير شيخ الاسلام صدر الائمة الاعلام قطب الاقطاب الذي تنجب بمثله الاحقاب العارف بربه والفائز بقربه وحبه ذو الكرامات الظاهرة والمكاشفات الباهرة الخ الخ » ولم يكن ذلك التطويل قاصراً في وصف رجال الفضل كالنابلسي بل كان شاملاً كل انسان

وما زالت الركاكة تتوالى على الانشاء العربي حتى بلغت منتهاها في اول القرن الماضي وكثرت الالفاظ العامية والدخيلة . فمن امثلة ذلك ماجاء في الجبرتي في اثناء كلامه عن حرب الفرنساوية وهي قوله « وفي الثلاثة حضر شجان وباش سراجين ابراهيم بك واخبر ان الجماعة عزموا على الارتحال والرجوع وفك الجسر فعمل الباشا ديواناً الخ » وقوله « وفي ذلك اليوم وصل ططري من الديار الرومية وعلى يده مرسومات فعملوا في صبحها ديواناً وقرئت المرسومات الخ »

١ — الالفاظ المولَّدة في عصر الانحطاط

هذا ما يقال من حيث التراكيب واما الالفاظ فقد كثر فيها الدخيل والمولَّد واكثرها في الالفاظ الادارية المتعلقة بالحكومة ونظاماتها وما يتعلق بها

واليك امثلة من الالفاظ المولدة في عصر الانحطاط مما يختص بالادارة ووضعنا بازاء كل لفظ ماصار اليه معناه في ذلك العصر :

النائب	القائم مقام السلطان
الساقي	المتولي مد السماط وتقطيع اللحم وسقي المشروب
المشرف	متولي امر المطبخ
ملك الامراء	هو من الالقاب التي اصطلحوا عليها لنواب السلطان
راس النوبة	هو الذي يتحدث على مماليك السلطان
امير المجلس	« « يتولى امر مجلس السلطان

وقس على ذلك سائر الرتب المحدثة في الدول التركية والكردية كامير السلاح ومقدم المماليك وامير علم ونقيب الجيش والعامل — وهذا غير العامل في الدولة العربية فانه في الدولة التركية يراد به منظم الحسابات . ومثلها الصيرفي وكاتب السر والناظر وهو خاص في الاموال وصاحب الديوان والشاهد وغيرها

ومن هذا القبيل الالفاظ او النعوت التي تكتب في المكاتبات والولايات واليك امثلة منها : —

الجانب . هو من القاب ولاة العهد بالخلافة ومن في معناهم كامام الزيدية اليمني في مكاتباته عن الابواب السلطانية

المقام . هو خاص بالملوك

المقرّ . يختص بكبار الامراء واعيان الوزراء وكتاب الشرف كناظر الخاص وناظر الجيش وكاتب الدست

الجناب . من القاب ارباب السيوف والاقلام جميعاً فيما يكتب به عن السلطان وغيره من النواب ومن في معناهم

المجلس . هو من القاب ارباب السيوف والاقلام ممن لم يؤهل لرتبة الجناب

مجلس (بلا أل) . يضاف الى ما بعده فاذا قيل مجلس الامير كان لقب

ارباب السيوف على اختلاف طبقاتهم واذا قيل مجلس القاضي كان مختصاً بارباب الاقلام . واذا قيل مجلس الشيخ كان لقب الصوفية واهل الصلاح . واذا قيل مجلس الصدر كان للتجار وارباب الصنائع

الحضرة . ويراد بها حضرة صاحب اللقب وهي من الالقاب القديمة التي كانت تستعمل في مكاتبات الخلفاء وكان يقال فيها الحضرة العالية والحضرة السامية ثم صارت تستعمل في العصر الذي نحن فيه للمخاطبة من الابواب السلطانية الى بعض الملوك او الاعيان

— هذه امثلة قليلة مما تولد في اللغة العربية من الالفاظ التي اقتضاها عصر الدول الاعجمية واكثرها كان له معنى وتنوع على ما اقتضته الاحوال عملاً بناموس الارتقاء

٢ — الالفاظ الدخيلة في عصر الانحطاط

واما الالفاظ الدخيلة ففيها الفارسي والتركي والكردي وكلها ادارية من اصطلاحات الحكومة واليك امثلة منها : —

الاستادار	يتولى قبض مال السلطان او الامير وصرفه ويمتثل اوامره فيه
الجوكاندار	لقب من يحمل الجوكان مع السلطان في لعب الكرة
الطبردار	الذي يحمل الطبر
سنجقدار	يحمل السنجق وهو العلم
البندقدار	وهو يحمل جراوة البندق خلف السلطان او الامير
الجمدار	الذي يتصدى لالباس السلطان او الامير ثيابه واصله جامادار
البشمقدار	يحمل نعل السلطان
المهمندار	يهتم بالرسل والعربان الواردين على السلطان وينزلهم الضيافة
الزنان دار	وهو الزمام دار يتحدث مع السلطان وهو من الخدم او الخصيان
الجاشنيكر	يتصدى لذوقان المأكول خوف التسمم
السراخور	يتحدث عن علف الدواب
اميراخور	صاحب الاسطبل

امير جاندار يستأذن على الامير وغيره في ايام المواكب

وقس على ذلك ما دخل اللغة في ذلك العصر من الاصطلاحات العسكرية والمالية والتجارية ومن هذا القبيل الاصطلاحات العسكرية والادارية في الدولة العثمانية وبعضها تركي او فارسي صرف وبعضها مركب من التركي او الفارسي والعرب كالجاويش واليوزباشي والبكباشي والسرعسكر والمابين والسركي والياور واميرالاي والاوردي والالاي والطابور والباشا والبيك والآغا ومنها ما هو عربي بصيغة تركية كالمكتوبجي والمابنجي والمحاسبجي والباشكاتب والسلاملك وما ينتهي بلفظ « خانه » كالرصدخانة والكتبخانة او بلفظ « دار » كالدفتردار والخزندار ناهيك بالالفاظ العربية المولدة التي اكتسبت معاني جديدة في الدولة العثمانية كالناظر والمتصرف والمحتسب والتابعية والمسئولية والصدر الاعظم والمدعي عمومي والقائمقام ونحو ذلك وهو كثير جداً وسيأتي ذكر بعضه مفصلاً في اثناء كلامنا عن النهضة العلمية الاخيرة

النهضة العلمية الاخيرة

لم يمر على اللغة العربية عصر أثر في الفاظها وتراكيبها تأثير النهضة الاخيرة في اواسط القرن الماضي لانها جاءتها على غرة دفعة واحدة فانهالت فيها العلوم انهيال السيل وفيها الطب والطبيعيات والرياضيات والعقليات وفروعها ولم تترك للناس فرصة للبحث عما تحتاج اليه تلك العلوم من الالفاظ الاصطلاحية مما وضعه العرب او اقتبسوه في نهضاتهم الماضية ولا لوضع الاوضاع الجديدة . والسبب في ذلك ان الذين اشتغلوا في العلوم الحديثة عند اول دخولها مصر والشام في اواسط القرن الماضي لم يكونوا على سعة من علم اللغة فلما ترجموا تلك العلوم الى اللغة العربية لم يهتدوا الى مصطلحاتها القديمة . او اهتدوا الى بعضها ووضعوا للبعض الآخر الفاظاً لا تنطبق على المراد بها تمام الانطباق لكنها صُقلت بتوالي الاعوام وصارت تدل على المراد كما اصاب امثالها في اثناء النهضة العباسية وغيرها

فلما انقضت تلك البغتة وتكاثرت المدارس ونشأ الكتاب وعلماء اللغة عادوا الى النظر في مادخل اللغة من المصطلحات العلمية او الادارية الجديدة وقلما استطاعوا تبديل شيء منه لتأصله وشيوعه في الكتب والجرائد والاندية وغيرها . على انهم لم يعدموا وسيلة في اصلاح الانشاء والرجوع بعباراتهم الى نحو ما كانت عليه في صدر الدولة العربية لانهم تحدّوا فطاحل الكتاب في تلك العصور مع مراعاة الذوق والسهولة فنبغ بيننا كتاب لا يفضلهم ابن المقفع ولا ابن خلدون ولا غيرهما من جلة الكتاب وعمدة المنشئين في شيء وقد اغفلوا السجع البارد وقللوا من الاطناب وابطلوا المترادف وهم عاملون على تنقية اللغة مما خالطها من الاحماش والادران وما اصابها من الضعف في عصر الانحطاط . واذا تدبرت لغة الكتّاب والمنشئين في اول هذه النهضة وقابلتها بلغة كتابنا اليوم رأيت الفرق كبيراً وهان عليك ان تتوقع رجوعها الى احسن ما بلغت عليه في عصر زهوها وشبابها

على اننا لا نظنهم مع ذلك قادرين على تنقيتها مما داخلها من الالفاظ والتراكيب الاعجمية او مما تولد فيها من الالفاظ العربية الجديدة على ما اقتضاه التمدن الحديث من العادات الجديدة والآداب الجديدة والعلوم الجديدة . وقد دثر من اللغة كثير

من الاصطلاحات القديمة وقام مقامها مصطلحات جديدة — شأن الكائنات الحية الخاضعة لناموس الارتقاء

فالتغيير الذي اصاب اللغة العربية في النهضة الاخيرة قد اصاب الفاظها وتراكيبها و بعضه دخلها من اللغات الاجنبية والبعض الآخر تولد فيها بالتنوع والتفرع · وللاحاطة بالموضوع نقسم الكلام فيه الى قسمين نبحث في القسم الاول عن الدخيل وفي الثاني عن المولد

١ — الدخيل

ينقسم الدخيل في اللغة العربية في اثناء هذه النهضة الى اربعة اقسام (١) الالفاظ الادارية (٢) الالفاظ التجارية (٣) الالفاظ العلمية (٤) التراكيب الاجنبية

(١) الالفاظ الادارية الدخيلة
في النهضة الاخيرة

اكثر هذه الالفاظ من مصطلحات الدولة العلية واكثرها تركي وفارسي وقد ذكرنا امثلة منها في كلامنا عما دخل اللغة في عصر الانحطاط · وبعض تلك الالفاظ أُخذ من اللغات الافرنجية وخصوصاً اللغتين الايطالية والفرنساوية وهي :

١ — الالفاظ الادارية التركية	لفظها الاصلي	معناها
سنجق	سنجاق	راية
طابور	طابور	كتيبة
بلك	بلوك	سرب
الاي	آلاي	فرقة
اوردي	اوردو	جيش
جفتلك	جفتلك	مزرعة
اورنيك	اورنك	نموذج
اورطة	اوردي	جيش

ويلحق بالالفاظ التركية كل ما ركب تركيباً تركياً ولو كان عربياً او فارسياً

والغالب ان يكون ذلك التركيب مع « جي » للنسبة او « باش » رأس كقولهم مكتوبجي وتخزنجي واجزاجي وتمرجي وهذه مركبة من تيار بالفارسية (سياسة المرضى) وجي . و باشكاتب و باشمهندس[1] وحكمباشي . وقد يركب من الاثنين معاً مثل تخزنجي باشي ومكتوبجي باشي وقس عليه

٢ — الالفاظ الادارية الفارسية	لفظها الاصلي	معناها
ياور	ياور	معاون
تغه	تغا	طوابع رسمية
بندر	بندر	مروا
باره	پاره	قطعة
سواري	سواره	فارس
سراي	سراي	بيت

و يلحق بالالفاظ الادارية الفارسية ما يركب من الالفاظ مع « دار » صاحب او « خانه » بيت في آخر الكلمة او « سر » رأس في اولها كقولهم حكمدار و بيرقدار ودفتردار وكتبخانه وخسته خانه واجزاخانة وسردار وسرعسكر وسر تشريفاتي وقس على ذلك وقد تقدم ذكر بعضها في كلامنا عن عصر الانحطاط

٣ — الالفاظ الادارية الفرنساوية	لفظها الاصلي	معناها
قومندان	Commandant	صاحب الامر
جنرال	Général	قائد
قنصل	Consul	وكيل
بوليس	Police	ضابطة
سكرتير	Secrétaire	كاتم السر
رلمان	Parlement	مجلس الاعيان
قومسير	Commissaire	مندوب

(١) ومهندس اسم فاعل من لفظ فارسي الاصل (اندازه) معناه التقدير

٤ — الالفاظ الادارية الايطالية	لفظها الاصلي	معناها
بوسطة	Posta	البريد
يونيفورما	Uniforma	بدلة رسمية
ورديان	Guardiano	حارس
اسكلة	Scala	سلم
ديكريتو	Decreto	امر عال
باطنطة	Patenta	رخصة

٥ — وهناك الفاظ ادارية مقتبسة من لغات أُخرى كلفظ « الغرش » فانه معرب Groschen بالالمانية و « امبراطور » من Emperator في اللاتينية وغيرها

(٣) الالفاظ التجارية الدخيلة في النهضة الاخيرة

اكثرهذه الاصطلاحات معربة عن الايطالية والفرنساوية لان الايطاليان اوأهل البندقية من اقدم تجار اوربا اختلاطاً بالمشارقة في القرون الاخيرة . واليك امثلة من الاصطلاحات الايطالية

١ — الالفاظ التجارية الايطالية	لفظها الاصلي	معناها
كمبيو	Cambio	صرف
كمبيالة	Cambiale	حوالة
فاتورة	Fattura	كشف
سيكورتا	Sicurta	تأمين
قومبانية	Compagna	شركة
اسبتالية	Ospitale	مستشفى
بروتستو	Protesto	اقامة الحجة
بورصة	Borsa	تجارة

ديبلوما	Diploma	شهادة
اجيو	Agio	. . . . .

٢ — الالفاظ التجارية الفرنساوية	لفظها الاصلي	معناها
بنك	Banc	مقعد ثم المصرف
قومسيون	Commission	لجنة
كوبون	Coupon	القطع

وهناك الفاظ متفرقة من لغات اخرى كالكمرك مثلاً فانه تعريب كومركي (κουμερκι) باليونانية وكذلك ناولون · وشك مأخوذة من صك الفارسية او اصلها صك بالعربية وطاقم بالتركية ودروباك في الانكليزية وقس على ذلك

ومثل هذا كثير في اصطلاحات نظارات الحكومة ومصالحها وخصوصاً في السكة الحديدية والتلغراف والحربية · واصطلاحات التجار واصحاب الحوانيت والصناع وغيرهم وهي تعد بالمئات وقد سكتنا عنها اشهرتها ولان الكتّاب يعدونها من قبيل الالفاظ العامية فلا دخل لها في بحثنا

(٣) الالفاظ العلمية الدخيلة

في النهضة الاخيرة

الالفاظ العلمية التي دخلت اللغة العربية في هذه النهضة كثيرة جدًّا ومعظمها مقتبس من الفرنساوية والايطالية والانكليزية لان اكثر العلوم المترجمة الى لساننا منقولة عنها · على ان المصطلحات العلمية متشابهة في لغات الافرنج لان مصدرها عندهم اما اللاتينية او اليونانية فلاغرو اذا اخذناها بلفظها كما اخذها الانكليز او الفرنساويون او غيرهم وعددناها من قبيل الالفاظ الوضعية بلفظها ومعناها · ويدخل في ذلك اسماء العلوم الجديدة كالجيولوجيا والمترولوجيا والفيسيولوجيا والثرابيوتيا والفريتولوجيا والهيستولوجيا والهدروستاتيك والميكانيكيات وغيرها · ويدخل في ذلك ايضاً اسماء الآلات الطبيعية او الفلكية او الكهربائية او نحوها مما لم يكن له مثيل عند العرب وسيأتي ذكرها

فالالفاظ الطبية الدخيلة كثيرة وفي جملتها اسماء كثير من الامراض او العقاقير و الادوات واكثره لم يكن له مثيل في الطب العربي كالدسبسيا والبانكرياس والنفراجيا والبليورا والسمباثوي والبلهارسيا والدفتيريا والهستيريا والانيميا والبروتو بلاسم ونحوها

ومن المصطلحات الكيماوية غير اسماء العقاقير الكثيرة ما يحدث من تراكيبها كالاكسيد والكلوريد واليوديد والكربونات والفصفات والاكسموس والاندسموس والكربونيك والهدروكلوريك والهيدروسيانيك والفوتوغراف والزنكوغراف وغيرها من الاسماء الصناعية المبنية على الكيمياء

ومن المصطلحات الطبيعية البارومتر والكهربائية [1] والبطارية والكلفانومتر والترمومتر والهيدرومتر والالكتروتيب والميكرسكوب والتلسكوب والسبكتروسكوب والستيريوسكوب والتلغراف والفونوغراف والتلفون والفوتوفون والميكروفون وغيرها

ولو اردنا الاتيان بكل المصطلحات العلمية لما وسعها غير المجلدات فنكتفي بما تقدم على سبيل المثال

(خ) التراكيب الاعجمية
في النهضة الاخيرة

معلوم ان اكثر المصادر التي يرجع اليها كتاب اللغة العربية في العلم الطبيعي وفروعه مكتوبة في اللغات الافرنجيـة واكثر الكتاب عندنا يحسنون لساناً او غير لسان من اللغات الاعجمية واكثر ما يقرأونه من الكتب او الجرائد في اللغات الافرنجية فضلاً عن شيوع تلك اللغات بين العامة فحيث سار الكاتب في المدن الكبرى فانه يسمع العبارات الافرنجية • فلا غرو اذا داخل عبارته تركيب افرنجي او تعبير أجنبي • ولا يخفى ان لكل لغة أسلوباً في التعبير لا ينطبق بكل تفاصيله على أساليب اللغات الاخرى • واللغات تتقارب وتتباعد في تلك الاساليب بتقارب أصول الشعوب وتباعدها والعرب بعيدون في أصولهم عن الافرنج فاساليب التعبير في لغاتهم متباعدة ومتباينة • والغالب ان تمتاز كل لغة ببعض اساليبها على اللغات الاخرى وتقصر في البعض الآخر — يعلم ذلك الذين يعانون الترجمة من لسان الى لسان • فاقتباس العرب بعض أساليب الافرنج في كتاباتهم قد يكون من جملة مكملاتها واذا عدّه بعض اللغويين

---

(١) الكهرباء لفظ فارسي مركب من « كاه » التبن و « ربا » جاذب

فساداً في اللغة فلأن بعض كتابنا يبالغون في ذلك الاقتباس فيتناولون عبارات افرنجية في اللغة العربية ما هو اجمل منها وامتن

ومن أمثلة ما حدث في اللغة العربية من التراكيب الافرنجية وقد جرت على أقلام كثيرين قولهم :

(١) فلان كلاهوتي يقدر ان يؤثر كثيراً
(٢) رأيت صديقي فلان الذي أعطاني الكتاب (اي فاعطاني)
(٣) رغماً عن مساعيه الحميدة لم ينجح في عمله
(٤) مستمداً العناية من الله اقف بينكم خطيباً
(٥) لعب فلان دوراً مهماً في هذه المسألة
(٦) المعاهدة المصادق عليها من الدولة الفلانية
(٧) ان الامر الفلاني مضر بقدر وشرف ومالية فلان
(٨) يوجد في بلاد الحجاز عدة جبال

ونحو ذلك من التراكيب التي ترى الصبغة الافرنجية ظاهرة فيها على ان أهل العناية في الانشاء العربي قلما يستخدمونها وان كنا لا نرى بأساً من استخدام بعضها في لاحوال التي تضيق التراكيب العربية فيها

٢ ـ المولد

ونريد بالمولد الفاظاً عربية تنوعت دلالتها للتعبير عما حدث من المعاني التي اقتضاها التمدن الحديث في الادارة او السياسة او العلم او غير ذلك وهي كثيرة نذكر أمثلة منها

(١) الالفاظ الادارية المولدة في النهضة الاخيرة

وهي ما استخدمته الحكومة من الالفاظ العربية لمعان حدثت في الدولة او تنوعت على مقتضى السياسة او الادارة وهاك أمثلة منها :

المالية	أموال غير مقررة	الايرادات	مكافأة
الداخلية	المأمور	التكاليف	قلم تحريرات
الخارجية	رئيس قلم	محافظة	تشريفاتي
الاشغال العمومية	مفتش	مركز	خدمة سائرة
المعية	معاون	عوائد	تعويضات
الخاصة	متصرف	رسوم	معاشات
الدائرة السنية	مصلحة	مصاريف نثرية	مصلحة الري والتاريع
المدير	نظارة	مساحة التوالف	شورى القوانين
الناظر	ميزانية	علاوة	معاون اول وثاني الخ
كاتب أول وثاني الخ	السخرة	ملاحظ	النيابة
قواص	مستشار	رتبة أولى الخ	ناظر النفوس
مراقب	مساعد	متمايز	قضاء
اموال مقررة	مستخدم	تذكرة مرور	ناحية

(٢) الاصطلاحات الجندية ومنها :

المشير	اركان حرب	بدل سكن	النسافة
الفريق	تجهيزات حربية	الاستعراض	الطرادة
اللواء	ضابط	الحربية	الغواصة
قائمقام	نفر	المهمات	الدارعة
خفر السواحل	تعيينات	المدمرة	البارجة
القرعة العسكرية	كساوي	البلاغ النهائي	غرامة الحرب
	بدل سفرية		

(٣) الاصطلاحات القضائية ومنها :

الحقانية	محكمة الجزاء	النيابة	مدعي عمومي
العدلية	المجالس الاهلية	النقض والابرام	تمييز
محضر	المختلطة	معارضة	
المحكمة الابتدائية	الاستئناف	الحكم العرفي	

(٤) اصطلاحات سياسية

مؤتمر	السفارة	المحافظون	مجلس الاعيان
معتمد	الاستعمار	الاحرار	« العموم
مندوب	الاحتلال	الاشتراكيون	المسؤولية
السياسة	الدوائر السياسية	مجلس الشيوخ	

(٥) اصطلاحات الصحافة

الصحافة	مراسل	بدل الاشتراك	الاعلانات
جريدة	مكاتب	المطبوعات الدورية	المنشورات
مجلة	محرر	وغير الدورية	الوصل

(٦) اصطلاحات طبيعية

الثقل النوعي	السمعيات	التبلور	القوة
الزخم	الحل الكهربائي	جاذبية الالتصاق	السديم
التباعد عن المركز	التمغنط	والملاصقة والشعرية	العدسة البلورية
الجاذبية	انكسار النور	التداخل	البؤرة
السطح المائل	تشرف النور	السرعة	شفاف
المفرغة	استقطاب النور	تكهرب	مظلم
القابلة	الموشور	المادة	منير

(٧) اصطلاحات كيماوية

حامض	كثافة	منقوع	متعادل
قاعدة	مرونة	صبغة	لفائف الحدة
تحليل	غاز	الجرم	السمات
الطيف الشمسي	جامد	الالفة الكيماوية	العبارات
عنصر	سائل	قلوي	يستحضر
الوزن الجوهري	محلول	حامض	يحضَّر

املاح	تحليل	كاشف	الجوهر الفرد
تركيب	البابوس	الدقيقة	الذرة

(٨) اصطلاحات طبية

حويصلة	صمامات القلب	الزهري	انسكاب
غشاء مخاطي	الاين	الصفير	تصلب
الخلايا الهوائية	تمدد	الطنين	التشخيص
الاختلاطات	تدرن	الاعراض	حؤول

(٩) اصطلاحات صناعية

قطار	حروف	الباخرة	المحامي
قاطرة	أمهات	الرفاص	الطباعة
مطبعة	المعامل	السكة الحديدية	

(١٠) اصطلاحات تجارية

الرهونات	الشك المسطر	الفائدة	مسك الدفاتر
عمولة	الاستاذ	حساب الثمرة	الزنجير
المقاول	اليومية	حساب جاري	الجرد
الرسمية	الخرطوش	العينات	سدد الحساب
الميري	الصندوق	المضاربة	الاستهلاك
اسهم الشركات	القسيمة	صرر النقود	مساهمة
القراطيس	الامضاء	التحصيل	المتسبب
استحقاق	الذممات	الطرود	الاطيان
التحويل	الشركات	التصدير	
المشارطة	فتح اعتماد	الاعتماد	التصفية
عميل	دين ممتاز	المصاريف الهالكة	المزايدة

العمولة	الاقتصاد	المال الاحتياطي	المناقصة
تحويل	الرهونات	الساحب	التسجيل
تسليف نقود	الممارسة	المسحوب عليه	ميعاد
سحب (السندات)	الحصول	حامل السند	استحقاق

هذه امثلة من الالفاظ المولّدة في النهضة الاخيرة في الادارة والسياسة والتجارة والعلم والصناعة . وهي كما تراها عربية الاصل والاشتقاق واكثرها كان معروفًا في اللغة ومدونًا في المعجمات من قبلُ لمعانٍ قريبة مما استعملها له المولّدون او شبيهة بها على نحو ما حصل في العصر العباسي . ولكل من هذه الالفاظ تاريخ يدلُّ على ما تقلبت فيه من الدلالات المتقاربة من زمن الجاهلية فالعصر الاسلامي فعصر الانحطاط الى هذا العصر . ولا ننكر ان بعض هذه المولّدات كان في الامكان الاستغناء عن توليدها باستعمال الفاظ كانت في اللغة قبل هذه النهضة ولها نفس الدلالة المطلوبة ولكن قضت الاحوال بالتجديد المستمر — وهو من نواميس الحياة

واكثر التوليد المذكور حدث تدريجًا واعتباطًا لاسباب متفرقة ومختلفة لا يمكن تعيينها او حصرها على ان بعضها وضع عن روية وقصد وهو قليل . واما الاغلب في هذا التوليد ان يدخل اللغة تدريجًا مثل تدرج العادات والاداب في تولدها ودخولها في جسم الامة . ومن اوضح الامثلة على ما انقلب فيه الالفاظ من المعاني او تدرج في ابداله ما اصاب نعوت التفخيم من التغيير العجيب بانتقالها من عصر الى عصر — فالاديب والالمعي والفاضل والعلامة والنهّامة وحضرة وجناب يستخدمها الكتاب اليوم لغير ما كان يستخدمها له الاقدمون وقد يكون الفرق بعيدًا بين المعنيين . فالاديب مثلاً مشتقة من الادب وهو يشمل معظم ضروب العلم وقد استعملها المولدون في العصور الاسلامية الوسطى لما نستعمل له اليوم لفظ العالم الفاضل وما زالت دلالتها تتصاغر حتى صاروا يستخدمونها لاصغر خدمة الادب . والحضرة والجناب كانتا من نعوت الملوك والامراء فاصبحتا تستخدمان لاحقر العامة . وقس على ذلك سائر الالقاب . وشأن هذه النعوت في حياتها شأن الرتب وادوارها فلفظ « بيك » مثلاً معناه الامير او الملك وكانوا يسمون به كبار الامراء والقواد ثم جعلوه لقبًا ملكيًّا يمنح لبعض الوجهاء ونحوهم ممن يأتون عملاً عظيمًا ثم صار الى ما تعلم . ويقال نحو ذلك في سائر الرتب والنعوت فهي في صعود وهبوط وتولد ودثور في دلالاتها شأن الطبيعة في كل احوالها

لغة الحكومة المصرية

في دواوينها

لاغرو اذا افردنا للغة الحكومة المصرية بابًا خاصًا لاختصاصها بالفاظ وتعبيرات لامثيل لها في اللغة الفصحى وفيها ما لا يمكن تطبيقه على قاعدة ولا الرجوع به الى قياس . ففي مخاطبات الدواوين وصور الاوامر العالية من الالفاظ الغريبة والتراكيب الركيكة ماهو غريب في بابه وقد كان على معظم غرابته في اواسط القرن الماضي قبل نضج هذه النهضة

واصل الركاكة والغرابة في لغة الدواوين يرجع الى عصر الانحطاط في زمن الامراء المماليك . وطبيعي ان اللغة تحيا بحياة اهلها وتموت بموتهم وتزهو بزهوهم وتنحط بانحطاطهم ففي عصر اولئك الامراء بلغت مصر من الانحطاط في السياسة والادارة والاداب والعلوم مالم يبق بعده غاية . فلم ينقض القرن الثامن عشر حتى صارت لغة الكتابة اشبه شيء بلغة العامة لركاكة عبارتها مع ما فيها من الالفاظ الاعجمية والعامية

فدخل الفرنساوية مصر في آخر القرن المذكور ولغة العلماء تكاد تكون عامية واليك امثلة من كتاب نشره علماء مصر ومشائخها في اثناء احتلال الفرنساويين قالوا :

« نعرّف اهل مصر من طرف الجعيدية واشرار الناس حركوا الشرور بين الرعية والعسكر الفرنساوية بعد ما كانوا اصحابًا واحبابًا بالسويّة وترتب على ذلك قتل جملة من المسلمين ونهبت بعض البيوت ولكن حصلت الطاف الله الخفية سكنت الفتنة بسبب شفاعتنا عند امير الجيوش بونابرته وارتفعت هذه البلية لانه رجل كامل العقل عنده رحمة وشفقة على المسلمين ومحبة الى الفقراء والمساكين ولولاه لكانت العساكر احرقت جميع المدينة ونهبت جميع الاموال وقتلوا كامل اهل مصر فعليكم ان لاتحركوا الفتن ولا تطيعوا امر المفسدين ولا تسمعوا كلام المنافقين ولا تتبعوا الاشرار ولا تكونوا من الخاسرين سفهاء العقول الذين لايقرأون العواقب . . . »

وقد ذكرنا مثالاً من كلام الجبرتي مؤرخ تلك الحوادث في كلامنا عن اللغة العربية في عصر الانحطاط

ولما جاء الفرنساوية مصر كان في جملة حملتهم جماعة من التراجمة ليتوسطوا بينهم

وبين الاهالي والعلماء ويترجموا لهم المنشورات والمراسلات ونحوها والظاهر انهم كانوا من غير ابناء اللغة العربية فكانوا اذا ترجموا عبارة صاغوها بقالب افرنجي وما لم يجدوا له لفظاً عربياً تركوه بلفظه الافرنجي او وضعوا له لفظاً عامياً

فلما افضت الولاية الى محمد علي باشا مؤسس العائلة الخديوية واخذ في انشاء الدواوين لم يكن له غنى عمن يترجم بين حكومته وحكومات دول اوربا فاستخدم التراجمة وفيهم جماعة من اهل المغرب وغيرهم واللغة لا تزال في انحطاطها وركاكتها والذين يعرفون اساليبها ويحفظون الفاظها قليلون جداً وخصوصاً في من استخدموهم في الدواوين للكتابة او الترجمة . وقد رأيت مثالاً من لغة المشائخ والعلماء وقد قضوا اعواماً طوالاً في الازهر وقرأوا كتب العلم والفقه فكيف بكتاب الدواوين والتراجمة

ومما زاد اسباب الفساد في اللغة ان الحكومة بدأت في انشاء الدواوين وترتيب مصالح الحكومة والقضاء وغيرها قبل اهتمامها في تعليم الناس وتهذيبهم وترقية افكارهم واصلاح شأنهم فدخل في العصر الاول لحكومة محمد علي باشا كثير من الالفاظ والتراكيب العامية ثم تنوعت وتكيفت على اسلوب خاص واوضاع خاصة والفاظ خاصة وعرفت بلغة الدواوين

فلما استنار الناس على اثر نشر الصحافة ونبغ الكتاب والمنشئون في اواخر القرن الماضي انتظم جماعة منهم في مناصب الحكومة الكتابية فنقحوا كثيراً من تلك الغرائب ولا يزالون عاملين على تنقيحها

ومع ذلك فلا يزال فيها من الالفاظ المولدة والدخيلة وضروب التركيب ما هو بعيد عن لغة سائر الكتاب حتى في معاني الالفاظ العربية المستعمل عند كليهما وهاك امثلة كثيرة الشيوع

الفاظ ديوانية	معناها	الفاظ ديوانية	معناها
مطاعنة	شكوى	معروض	(عرضحال)
براءة الساحة	تبرير	ناحية	قرية
بالقضاء والقدر	عرضاً	عزبة	دسكره
اتضحت ادانته	ظهر ذنبه	ابعدية	مزرعة
صرف	دفع	نزل	ادارة تقديم المؤن

الفاظ ديوانية	معناها	الفاظ ديوانية	معناها
عريضة	براءة	الجرارية	ادارة المراكب
طاقم	بحرية مركب	مصروفات	نفقات
مشتغل	مزوّر	خوجا (سفينة)	كاتب
ظهورات	موقت	تعلق فلان	خاصته
نشاوي	جديد	افرج عنه	اطلق سراحه
اضمحل حاله	صار فقيرًا	مستند	سند
مباشرة	رأسًا	جبر	كسر
دولاب	خزانة	تنق	مات
استيداع	راتب يعطى بعد الرفت	مراسلة	خادم عسكري
عجوزات	متأخرات المال		

وغير ذلك كثير من الالفاظ العربية وغير العربية . وقس عليه التراكيب والتعبيرات الخاصة مثل ادخال « لم » على فعل المضارع كقولهم « لم أتى » بدلاً من « لم يأتِ » وصوغ الفعل المجهول من المصدر وفعل الصيرورة على نحو ما في اللغات الافرنجية كقولهم « صارت كتابته » بدلاً من « كُتب »

وقد ولدوا صيغة خصوصية للفعل الماضي تركب من المصدر ولفظ « معرفة » فيقولون « كُتب الكتاب بمعرفة فلان » بدلاً من قولنا « فلان كتب الكتاب » وربما ركبوا هذه العبارة مع التي قبلها فقالوا « صارت كتابة الكتاب بمعرفة فلان » وقس على ذلك . ناهيك بركاكة التعبير وان لم تخالف قواعد النحو او الصرف مما يضيق عنه المقام وقد اغنينا عنه لشهرته . على ان كتاب اللغة وعلماءها يعدون تلك الالفاظ وامثالها من قبيل الاصطلاحات العامية واستعمالها خطأ وقد اخذت الحكومة في تنقيحها بالتدريج كما تقدم

الخلاصة

يتبين للقارئ اللبيب مما ذكرناه عن احوال اللغة العربية في ماتوالى عليها من الاعصر والادوار في اثناء نموها وارتقائها من زمن الجاهلية الى هذا اليوم انها سارت في كل ذلك سير الكائنات الحية بالدثور والتجدد المعبّر عنه بالنمو الحيوي . فتولد في العصر الاسلامي الفاظ وتراكيب لم تكن في العصر الجاهلي وتولد في العصور التالية ما لم يكن في ما قبلها . واخيرًا تولد في نهضتنا الاخيرة من الالفاظ والتراكيب ما لم يكن معهودًا من قبل . فالوقوف في سبيل هذا النمو مخالفٌ للنواميس الطبيعية فضلاً عن انه لايجدي نفعًا . فاللغة كائن حيّ نام خاضع لناموس الارتقاء ولا بد من توالي الدثور والتولد فيها اراد اصحابها ذلك او لم يريدوا — تتولد الفاظ جديدة وتدثر الفاظ قديمة على مقتضيات الاحوال لحكمة شاملة سائر الموجودات

فقد آن لنا ان نحلّ اقلامنا من قيود الجاهلية ونخرجها من سجن البداوة والاّ فلا نستطيع البقاء في هذا الوسط الجديد . فلا ينبغي لنا احتقار كل لفظ لم ينطق به اهل البادية منذ بضعة عشر قرنًا لان لغة البراري والخيام لا تصلح للمدن والقصور الا اذا أُلبسناها لباس المدن فلا بأْس من استعمال الالفاظ المولدة التي لا يقوم مقامها لفظ جاهلي لان معناها لم يكن معروفًا في الجاهلية او التي كان لها لفظ وترك فاصبح غريبًا مهجورًا . فاستعمال اللفظ المولد خيرٌ من احياء اللفظ الميت . واستبقاء المولود الجديد اولى من احياء الميت القديم واذا عرض لنا تعبير اجنبي لم تستعمل العرب مايقوم مقامه لاباس من اقتباسه — وفي اعتقادنا ان اطلاق سراح الاقلام على هذه الصورة يكشف لنا الغطاء عن جماعة كبيرة من ارباب القرائح انما يقعدهم عن الاشتغال في الادب خوفهم من الوقوع في غلط لغوي او بياني يؤاخذون عليه وليس فيهم شجاعة ادبية تحملهم على عدم الالتفات الى الانتقاد اذا كان في مايكتبونه فائدة . والغلطة اللغوية لاتقلل شيئًا من قدر الكاتب لان الاحاطة بكل اوضاع اللغة وقواعدها وشواردها لايتأَتى الا لقليلين

على اننا لانقول في هذا الاطلاق نحو ما يقوله الافرنج في لغاتهم لان شأْننا في لغتنا غير شؤُونهم في لغاتهم . فلا بد لنا مع هذا الاطلاق من الرجوع الى القواعد العامة والروابط الاساسية فلا نفسد اللغة بالفاظ العامة وتراكيبهم ولا نكثر من

الدخيل حتى تصير لغتنا مثل اللغة التركية العثمانية التي اصبحت لكثرة ما ادخلوه فيها من الالفاظ العربية والفارسية والافرنجية لامثيل لها في العالم الا اللغة الهندستانية (الاوردية) التي يكتب بها الهنود جرائدهم وكتبهم · اما اللغة العثمانية فاذا عدّت الفاظها باعتبار اللغات المؤلفة هي منها كان نحو ٧٠ في المئة من الالفاظ العربية و١٥ من الفارسية و٥ من اللغات الافرنجية وعشرة في المئة فقط من الالفاظ التركية الاصلية ويقال نحو ذلك في اللغة الاوردية وفي اللغة المالطية

اما اللغة العربية فلا بد من المحافظة على سلامتها والعناية في استبقائها على بلاغتها وفصاحتها وخصوصاً بعد ان اخذت في الرجوع الى ارقى ما بلغت اليه في ابان شبابها فلا يستحسن الاستكثار فيها من الدخيل والمولد وانما يؤخذ منهما بقدر الحاجة على ان نعدّ ذلك الاقتباس نموًّا وارتقاءً لا فساداً وانحطاطاً

على اننا نعدّ ما كتبناه في هذا الموضوع خواطر ابديناها وفتحنا بها باب البحث · واما استيفاء الكلام في تاريخ اللغة والفاظها وتراكيبها فلا يسعه الا المجلدات الضخمة · فنتقدم الى ائمة اللغة وكتابها وعلمائها ان يزيدونا من هذا الموضوع خدمة لهذه النهضة وحسبنا الله

فهرس